

قراءات في التراث النفسي العربي

عدد 6

الاستاذة العسيرة

عبدالله عطاء الله الشكيري

أ. د. حمدي فؤاد مصطفى

2014



التراث النفسية

عند ابن عطاء الله السكندري

أ. د. كرمي فؤاد مصيلحي

الفهرس

5	مقدمة
8	منهج البحث
10	سيرة ابن عطاء الله
12	الباب الأول: التركيب التشريحي للإنسان (مكوناته) عند ابن عطاء الله السكندري
13	النفس
17	القلب
30	مراجع الباب الأول
32	الباب الثاني: الصراع النفسي وأصوله
32	فصل: الصراع النفسي في العلوم الحديثة
43	فصل: نظرية الصراع عند ابن عطاء
55	فصل: مراحل النمو النفسي (مقامات اليقين)
62	مراجع الباب الثاني
63	الباب الثالث: أمراض الغفلة والهوى
63	فصل: الأمراض و الأعراض
64	أولاً: خوف الفقر
66	ثانياً: خوف الخلق
67	ثالثاً: نهم النفس والطمع
69	رابعاً: هم الرزق
70	خامساً: الشح والبخل
72	سادساً: الفتنه
73	فصل: العلاج النفسي لأمراض الغفلة والهوى
92	فصل: التقييم لطرق العلاج
98	المراجع
98	خاتمة
98	مناجاة ابن عطاء الله السكندري
103	مختارات شبكة العلوم النفسية العربية

إهداء

إهداء

إلى روح أبي، الذي كثيرا ما نشب بيننا خلاف كلما رأيته يقرأ كتاب
دلائل الخيرات، ولكني عندما هرمت واحترق الرأس شيئا، اكتشفت أن
تكون صوفيا تقرأ دلائل الخيرات أو سلفيا تقرأ لابن تيمية، لا يهم! المهم
أن تكون مخلصا لله، ففي كل إضافة إلى رقة الإسلام المتسعة

“ربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك
ومتى فتح لك باب الفهم في المنع، صار المنع عين العطاء”
إبن عطاء الله السكندري

مقدمة

باسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله
دعوني أصل معكم إلى أقصى درجات الصراحة في رحلتي
مع هذا الكتاب. أصبحكم معي في رحلة حياة لطيب نفسي بدأت
عندما كنت طالبا للطب في جامعة الزقازيق المصرية، وتصادف
أن قرأت على إحدى جدران دورة مياه شعرا لا أعرف مؤلفه
ولكن صادف في نفسي شيئا جعلني أوقن أنني هذا الشخص.
الشعر يقول "إن حظي كدقيق فوق شوك بعثروه، ثم جاعوا بحفاة
يوم ريح يجمعه، صعب الأمر عليهم فقالوا اتركوه، إن من أشقاه
ربه، كيف أنتم تسعدوه"، حينها شعرت أن تلك هي خارطة الطريق
لحياتي الماضية والقادمة، والتي أدركت فيما بعد عندما درست
علوم النفس أنها "الإسكيمة" الخاصة بي كما سماها آرون بك،
وتنقلت في رحلة حياتي العلمي بين مدارس علم النفس المختلفة من
التحليل النفسي إلى العلاج المعرفي السلوكي مروراً بمدرسة إريك
بيرن ليستقر بي الأمر أن أسمى نفسي طبيب نفسي بيولوجي،
طبعاً وبصراحة شديدة لعجزي أو عدم قدرتي على الإقتناع بأي
منها باستثناء ما كنت أسميه علم نفس طب الزقازيق، والذي صادف
في نفسي هوى. ومررت بي الأيام و الأماكن ليأخذني حظي
المبعثر في عام 2004 لأقوم بعمل مؤقت، حيث استطعت الحصول
على أجازة من عملي الدائم في مدينة

برمنج هام الإنجليزية للعمل الإضافي لعدة أسابيع في مدينة رجبى القريبة منها. وقابلت هناك استشاري للطب النفسى سودانى اسمه أمين القاسم ، أهدانى كتاب التتوير فى إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري، سائلا إياي أن أعيده له بسرعة لأنه لا يستطيع الإستغناء عنه. قرأته على عجل، ولكن شعرت أن هناك شيئا مفقودا لدي، وأنى مسجون فى شعر أو علم نفس الجدران السرية لطب الزقازيق. وقررت أن أبحث عن هذا الرجل، إبن عطاء الله السكندري، ولكن أخذتني الحياه، ووجع إكتساب الرزق، والخوف على الأولاد، فنسيت.... وتأخذني الحياه إلى حيث أنا الآن فى الإمارات العربيه، بعد إغتراب طال إلى أكثر من العقدين، مبعثرا على أشواك مدارس علم النفس، يدميني وجع البعاد ووجع أكل العيش. فيهديني الدكتور محمد عمر سالم كتابه، "الأيمان مفتاح السعادة النفسية"، وهو شرح لحكم إبن عطاء الله السكندري. يستيقظ فى داخلي رغبة فى البحث عن هذا الرجل من جديد سرعان ماتخبو كما خبت من قبل. وأجدني أغوص فى بحر الظلمات حتى تصطدم يدي بمشروع التأصيل للتراث الإسلامى الذى طرحته الشبكة العربيه للعلوم النفسية. وأجدني أرد بالقول نعم أود المشاركة وسوف أكتب عن إبن عطاء الله السكندري. ياإلهي ماذا لو سألت عن ماذا تكتب وماذا عند الرجل؟ لا أدري، وأجدني من جديد أجمع فى هذه المرة جهلي وليس حظي من على أشواك حماقتي وتسرعى. ويأتيني رسالة من الأستاذ الدكتور جمال تركي، واضعا أسمى مع كبار أستاذتي فى تلك اللجنه، التي ما كدت أصل إلى أسمى لأجد أمامه عنوان "الإشارات النفسية عند إبن عطاء الله" والذي كان بمثابة الطوق الذى إنتشلي

من بحر الظلمات فرددت قول أبطال ألف ليلة وليلة "يا لطيف اللطف يارب". وها أنا أقدم لكم هذا العمل الذي بفضل الله ثم مساعدة الأخوة الأفاضل في شبكة العلوم النفسية يخرج إلى النور.

حمدي فؤاد مصيلحي

أستاذ ورئيس قسم الطب النفسي

كلية الطب والعلوم الصحية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

منهج البحث

لفترة ليست بالقصيرة ظللت مترددا من أين أبدأ؟ ووجدت أن الكثيرين يتكلمون عن تأصيل التراث الإسلامي، ولكن شعرت أن عملية التأصيل هي بمثابة "قولية التراث" بمعنى البحث عن قالب علمي حديث في صورة نظرية ثم توسيع أو تضيق التراث كي يصبح مناسباً لحجم تلك النظرية، نظراً لمطاطية كل منهما. وكأنما ننظر أساساً لكل ما هو غربي لنقل لهم نحن مثلكم حتى في تراثنا. وفي ذلك تقليل من عمق تراثنا واتساع اتجاهاته بما هو مشابه ومخالف للفكر الغربي الحديث. قررت أن أبحث فقط من أجل العلم دون النظر إلى مدى مطابقته لما هو غربي، لأنني مقتنع أن هذا استدعاء إجتراري وهو من عيوب البحث العلمي. وهذا لا يعني أنني لن ألجأ إلى النظر إلى كل الفرضيات الحديثه بل والتكلم عنها باستفاضة إن لزم الأمر حتى تتحقق الفائدة، ولكن سوف يكون تركيزي على فرضيات ابن عطاء الله ونظرياته المأخوذة بطبيعة الحال من الفكر الصوفي الإسلامي المنبثق من ثقافتنا الإسلامية التي هي بالأساس من القرآن الكريم والسنة الشريفة. ولن أقف فقط على ما هو نظري بل سأبحث عن تطبيقاته وسبل استخدامه عملياً في ممارستنا المهنية، بما لا يخلق تصادماً مع ممارستنا العملية لهذا العلم الذي نراه في كل شاردة وواردة. وبما أن علم النفس كمسمى علم حديث فلم يكن هناك متن منفصل يمكن القول أنه مرجع تتجمع فيه نظريات ابن عطاء الله ولكن سأحاول كل جهدي أن أغوص بين السطور للبحث عن لمسات

وإشارات إين عطاء الله، محاولا إن أمكن إستنتاج ما خلف النصوص مع الحذر في الوقوع في الإستدعاء الإجتراري قدر الإمكان. وذلك نظرا لأن طبيعة فكر المتصوفه فيه كثير من التكتيف والإعتماد على الفهم الباطن، وهو ماكان واضحا عند إين عطاء الله في حكمه التي تستدعي شرح سطر واحد منها عدة صفحات كما نرى في "يقاظ الهمم في شرح الحكم" لابن عجيبة أو شرح الدكتور البوطي. ولذلك سوف أحاول جاهدا أن أنغمس في قراءة الفكرة دون تحميلها أكثر مما ينبغي.

فقط أود التنبيه إلى أهمية إتساع أفق مناهج البحث، فلا يجب أن نتسمر عند منهج البحث الغربي المعروف (IMRAD) وإعتبار كل ما عداه باطلا، فاللصوفية منهجا للبحث عن الحقيقة يبدو للناظر إليه في الوهلة الأولى خيالا علميا أو فكرا أدبيا، ولكن إذا كنا أمضينا ربع قرن من الزمان لتتعلم منهج "الإمراد" ألا يستدعي منهج البحث عن الحقيقة أن نسلك هذا الطريق ولو فقط لسنة واحدة ثم نحكم بعدها على صدق هذا المنهج من عدمه؟ هذا السؤال أطره على نفسي قبل غيري!!

أود التنبيه أنني حاولت كل جهدي توثيق الأحاديث الشريفة التي استشهد بها إين عطاء الله وقمت بوضع اسم الراوي ومنزلة الحديث كما هو في موقع البحث الذي استعنت به وهو "الموسوعة الحديثة- تيسير الوصول إلى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم" (www.sultan.org/h/). كذلك قمت باستخدام كل من "الأوفى" Alawfa، www.alawfa.com و muslim-web.com/search.htm كمحركي بحث في القرآن الكريم وذلك لتوثيق الآيات وأسماء السور.

أسأل الله أن يفتح عليّ ويهديني إلى ماينفع الجميع آمين، وليعذر لي الجميع شططي وشطحاتي فالعلم ما هو إلا نظريات تحتمل الصواب والخطأ.

سيرة ابن عطاء الله

هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً. وفد أجداده المنسوبون إلى قبيلة جذام، إلى مصر بعد الفتح الإسلامي واستوطنوا الإسكندرية حيث ولد ابن عطاء الله حوالي سنة 658 هـ الموافق 1260م ونشأ كجده لوالده الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله، فقيهاً يشتغل بالعلوم الشرعية حيث تلقى منذ صباه العلوم الدينية والشرعية واللغوية. توفي الشيخ ابن عطاء الله بالمدرسة المنصورية في القاهرة سنة 709 هـ ودفن بمقبرة المقطم بسفح الجبل بزوايته التي كان يتعبد فيها. ولا يزال قبره موجوداً إلى الآن بجبانة سيدي علي أبو الوفاء تحت جبل المقطم. من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث (صورة الغلاف الخلفي).

كان الشيخ ابن عطاء الله في أول حاله منكرًا على أهل التصوف حتى أنه كان يقول: "من قال أن هنالك علماً غير الذي بأيدينا فقد افتري على الله عز وجل". فما أن صحب شيخه أبو العباس المرسي واستمع إليه بالإسكندرية حتى أعجب به إعجاباً شديداً وأخذ عنه طريق الصوفية وأصبح من أوائل المريدين وصار يقول عن كلامه القديم: "كنت أضحك على نفسي في هذا الكلام". ثم تدرج ابن عطاء في منازل العلم والمعرفة حتى تنبأ له الشيخ

أبو العباس يوماً فقال له: "الزم، فوالله لئن لزممت لتكونن مفتياً في المذهبيين" يقصد مذهب أهل الشريعة ومذهب أهل الحقيقة. ثم قال: "والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً إلى الله وموصلاً إلى الله والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك كذا وكذا" فكان كما أخبر.

ترك ابن عطاء الكثير من المصنفات والكتب منها المفقود ومنها الموجود، لكن أبرز ما بقي له:

- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.
- القصد المجرد في معرفة الإسم المفرد.
- التتوير في إسقاط التدبير.
- أصول مقدمات الوصول.
- الطريق الجادة في نيل السعادة.
- عنوان التوفيق في آداب الطريق، شرح بها قصيدة الشيخ أبو مدين (ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا).
- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس.
- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتح.
- الحكم العطائية على لسان أهل الطريقة، وهي أهم ما كتبه وقد حظيت بقبول وانتشار كبير ولا يزال بعضها يُدرس في بعض كليات جامعة الأزهر، كما تُرجم المستشرق الانجليزي آرثر اربري الكثير منها إلى الانجليزيه، وترجم الأسباني ميغيل بلاسيوس فقرات كثيرة منها مع شرح الرندي عليها.

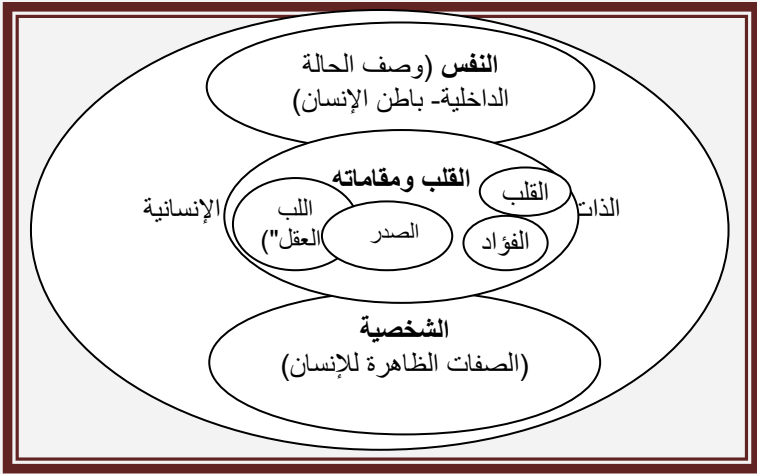
المراجع:

سيرة ابن عطاء الله السكندري، مجلة الراصد، الباب 242، الجزء 1، صفحة 13، الموسوعة الإلكترونية الشاملة.

الباب الأول: التركيب التشريحي للإنسان (مكوناته) عند ابن عطاء الله السكندري

أيها الإنسان أما كفاك ربك لو إكتفيت وهداك ربك لو إهتديت. إنه هو الذي خلقك فسواك، وتصدق عليك فأعطاك. اما يمنحك ذلك من منازعته فيما قضى ومعارضته فيما أتى "

ابن عطاء الله (بتصريف



(صورة 1) يوضح هذا الرسم التخطيطي ملامح مكونات الإنسان عند ابن عطاء الله والصوفية عامة. وهي علاقة متداخلة ومرتبطة، ويؤثر كل منها في الآخر. ويقسم ابن عطاء الله أنواع النفوس

(الحالة الباطنية) إلى ثلاثة وهي (النفس المطمئنة- النفس اللوامة- النفس الأمارة بالسوء)، ثم يقسم "النفس الشخصية" إلى أنواع ثلاثة (نفس خسيصة وهي نفس الكافر- ونفس كريمة وهي نفس المؤمن- ونفس حرة وهي نفوس الأنبياء والمرسلين).

النفس

قبل الخوض في حقيقة النظر إلى النفس عند ابن عطاء الله السكندري كما وضحاها في كتابه (التتوير في إسقاط التدبير، 1)، دعونا نرجع على تعريف النفس في اللغة وعند اساتذة ابن عطاء الله من الصوفية عامة وعند الشيخ أبو الحسن الشاذلي وأبو العباس المرسي خاصة، وهو ما رواه ابن عطاء الله في كتابه (لطائف المنن، 2) عن شيخه الشاذلي والمرسي.

أولا تعريف النفس فى اللغة

قال أبو إسحق: النَّفْسُ فى كلام العرب يجرى على ضربين؛ أحدهما: قولك خَرَجَتْ نَفْسُ فلان، أى رُوحُه، وفى نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أى فى رُوعِه. والضَّرْبُ الآخر مَعْنَى النَّفْسِ فيه مَعْنَى جُمْلَةِ الشَّيْءِ وحقيقته، نقول: قَتَلَ فلانُ نَفْسَه، وأهلك نفسه، أى أوقَتَ الإِهلاك بذاته كلَّها وحقيقته. والجمع من كل ذلك أُنْفُسٌ ونفوس...

قال ابن خالويه: النَّفْسُ الرُّوحُ. والنَّفْسُ ما يكون به التمييز، والنَّفْسُ الدم، والنَّفْسُ الأَخ، والنَّفْسُ بمعنى عند... قال أبو بكر بن الأنبارى: من اللغويين من سَوَّى النَّفْسَ والرُّوحَ وقال هما شَيْءٌ واحد، إلا أن النَّفْسَ مؤنثة والرُّوحَ منكر. قال: وقال غيره الروح هو الذى به الحياة، والنفس هى التى بها العقل، فإذا نام النائم قبض الله نفسه، ولم يقبض رُوحه، ولا يقبض الروح إلا عند الموت. قال:

وسميت النَّفْسُ نَفْسًا لَتَوْلَدَ النَّفْسَ مِنْهَا وَاتَّصَلَ بِهَا، كَمَا سَمَّوْا
الرُّوحَ رُوحًا لِأَنَّ الرُّوحَ مَوْجُودٌ بِهِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لِكُلِّ إِنْسَانٍ
نَفْسَانٌ؛ إِحْدَاهُمَا: نَفْسُ التَّمْيِيزِ، وَهِيَ الَّتِي تَفَارِقُهُ إِذَا نَامَ، فَلَا يَعْقِلُ
بِهَا، يَتَوَفَّاهَا اللَّهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى. وَالْأُخْرَى: نَفْسُ الْحَيَاةِ، وَإِذَا
زَالَتْ زَالَ مَعَهَا النَّفْسُ، وَالنَّائِمُ يَتَنَفَّسُ. قَالَ: وَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَ تَوَفَّى
نَفْسِ النَّائِمِ فِي النَّوْمِ، وَتَوَفَّى نَفْسِ الْحَيِّ. قَالَ: وَنَفْسُ الْحَيَاةِ هِيَ
الرُّوحُ وَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ وَنُمُوهُ يَكُونُ بِهِ. وَالنَّفْسُ السُّدْمُ وَفِي الْحَدِيثِ
:مَا لَيْسَ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ، فَإِنَّهُ لَا يُنَجِّسُ الْمَاءَ، إِذَا مَاتَ فِيهِ. وَرَوَى
عَنِ النَّخَعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ فَمَاتَ فِي الْإِنَاءِ فَإِنَّهُ
يُنَجِّسُهُ. أَرَادَ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ دَمٌ سَائِلٌ (3).

النفس عند الصوفية عامة

يقسم الصوفية النفس إلى قسمين هما :

القسم الأول : النفس الشهوانية :

«هي البخار اللطيف الحاصل للحياة والحس والحركة الإرادية، وهي التي
تسميها الحكماء «الروح الروحاني»، وهي جوهر مشرق على البدن، فإن
أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة، وإن أشرق على باطن البدن
لا على ظاهره حصل النوم، وإن انقطع إشراقه بالكلية حصل الموت.

القسم الثاني: النفس الناطقة :

هي جوهر مجرد من المادة في ذاته مقارن لها في أفعاله، وهذه النفس
هي التي تسمى بالأمانة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والكاملة،
فكلما اتصفت بصفات سميت لأجل اتصافها بها لاسم من هذه الأسماء، فإن
صادقت النفس الشهوانية المذكورة آنفا صارت تحت حكمها ، سميت أمانة،
وإن سكنت تحت الأمر التكاليفي وأذعنت لإتباع الحق لكن بقي فيها ميل إلى

الشهوات سميت لوامة، فإن زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقت الإلهامات سميت ملهمة، فإن سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلا، ونسيت الشهوات بالكلية سميت مطمئنة، فإن ترفقت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية، فإن زاد هذا الحال عليها سميت مرضية عند الحق والخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم سميت كاملة»(4).

النفس عند اساتذة ابن عطاء الله

أطلق أبو الحسن الشاذلي على النفس خمسة أسماء هي : النفس، والقلب، والعقل، والروح، والسر. وهو في ذلك يقترب أكثر من روح التصوف الإسلامي من الإمام الغزالي الذي وضع للنفس أسماء أربعة: القلب، والنفس، والروح، والعقل، فزاد الشاذلي السر، وجعله تاليا للروح(5). ويقول أبو العباسي المرسى : «الكائنات على أربعة أقسام : جسم كثيف بمجرد جماد، وجسم لطيف بمجرد جان، وروح شفاف بمجرد ملك، وسر غريب وهو المعنى المسجود له، فالأدنى بظاهر صورته جماد، وبوجود نفسه وتخليها وتشكلها جان، وبوجود روحه ملك، وأعطى زائدا على ذلك السر الغريب فذلك استحق أن يكون خليفة» (5). ويقول الشاذلي : الطينة أرضية، والنفس سماوية، والقلب عرشي، والروح كرسي، والسر مع الله بلا أين، والأمر ينتزل فيما بين ذلك ويتلوه الشاهد منه (6) ويقول كذلك : «الصورة حظ الأبدان، والأنفس والمعنوية حظ القلوب، والعقول، والعلية حظ الأرواح والأسرار» (7).

ويقول الشاذلي : مراكز النفس أربع : «مركز للشهوة في المخالفات، ومركز للشهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحة، ومركز في العجز عن أداء المفروضات لله» (8). ويزيد الشاذلي : «إن النفوس شأنها

استحلاء الإقامة في مواطن العز والرفعة، فلو تركها الحق سبحانه وما تريد لهلكت (8).

النفس عند ابن عطاء الله السكندري

استخدم ابن عطاء الله كلمة **النفس** لتعني شيتين أما الأولى وسماها الحالة وهي وصف ذلك المكون الداخلي الروحي المخفي والغير محدد الأبعاد والمعبر عن باطن الإنسان، أما الثاني فهو الذات وهو أسم جامع لكل صفات الإنسان من سلوكيات وعاطفة وتفكير وهي الصفات الظاهرة والملموسة الماثلة للجميع، وهو ما يطلق عليه أسم **الشخصية**. ولا شك عند ابن عطاء الله أن النفس لها فعل قوي على الشخصية أي أن الظاهر يعكس طبيعة الباطن.

ينقل ابن عطاء عن استاذة أبو الحسن، أن الله خلق الأرض على الماء فلم تستقر. فخلق لها الجبال الراسيات حتى تتزن. وكذلك النفس البشريه خلقها الله فكانت غير راسية، فخلق لها جبال العقل لتتنز. وهنا رسم ابن عطاء صورة من التوازي بين الأرض والنفس، الأرض بنواتها المنصهرة والباعثة للحمم والبراكين، الفائرة والمهتزة بالزلازل، يخلق لها الله القشرة الخارجية الصلبة بمكونها من الجبال الراسيات لتهدأ الأرض وتستقر. وهكذا النفس منصهرة، سائلة، فائرة وغازية. فيخلق الله لها العقل أو اللب فتستقر وتتوازن. والمقصود بالتوازن هنا هو الثبات والتوازن الانفعالي، حيث أن التسليم لأرادة الله يشيع و ينعكس على الإنسان في صورة الطمأنينة والثبات والاتزان ويقي الانسان من عوامل القلق والخوف والتوتر الذي يؤدي إلى عدم إستقرار النفس.

قال تعالى " يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي

الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ " (إبراهيم 27)

”فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ“ البقرة (38)

وقد قسم ابن عطاء الله النفس إلى ثلاثة أنواع: النفس المطمئنة، النفس اللوامة، النفس الأمارة بالسوء وهو بذلك وقف عند حدود الثلاثة دون خوض في أكثر من ذلك، وهو بذلك يظل مكتفيا بما قدمه اساتذته الشاذلي والمرسي.

وفي كتابه تاج العروس يزيد ابن عطاء الله فيحذر من تسليم القلب بمقاماته إلى النفس فيقول (ص 36): مثال القلب إذا سلمته إلى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما. ومثال النفس إذا سلمتها للقلب كمن أسلم نفسه إلى عوام قوي فسلمها له، فلا تكن ممن أسلم قلبه إلى نفسه.

القلب

القلب هنا لا يعني القلب تشريحيا وهو تلك العضلة المجوفة التي تدفع الدم إلى سائر الأعضاء، ولكن القلب في القرآن الكريم الذي جاء إعجازا لغويا وليس كتاب تشريح، كان له معنا آخر وجب على علماء المسلمين البحث عنه. فالقلب لغويا كما جاء في المعجم الوسيط هو (قَلْبٌ كُلُّ شَيْءٍ): وَسَطُهُ وُلْبُهُ ومَحْضُهُ . وَقَلْبُ النخلة : جُمَارُهَا . وَقَلْبُ الشجر : ما لان من أجوافها . ورجلٌ قَلْبٌ : خالصُ النسب [للواحد والجمع والمذكر والمؤنث]. وجنتك بهذا الأمر قَلْبًا : محضًا . والجمع : قُلُوبٌ (9) .

إذا نحن نتعامل هنا مع وسط الشيء ولبه، فما قول الصوفية في ذلك؟

قال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله." فجعل تسمية الصوفية مرتبطة بصفاء القلب. وقد كانت نظرة الصوفية إلى القلب نظرة كلية، فأطلقوا اسم القلب على الجهاز المتكامل أو الكينونة

الروحية للإنسان، ثم قاموا بتقسيم هذا الجهاز إلى أقسام كل له وظيفته الخاصة به في إطار الوظيفة الكلية للجهاز. يقول سهل التستري مشيراً إلى ذلك بأن: (القلب بحر وللقلب مقامات) ويقول الحكيم الترمذي: (واسم القلب اسم جامع يقتضي مقامات الباطن كلها) وفي القلب مواضع منها ما هي خارج القلب ومنها ما هي من داخل القلب وكذلك يرى سهل أن للقلب قلباً وهو جمهور الشيء. ويرى المكي أن للقلب سمعاً وبصراً ولساناً وشمماً (10).

والصوفية بذلك يجعلون القلب مرادفاً للمخ في العلوم الحديثة، حيث تمثل أعضاء الجسم المختلفة فيه، ففي المخ مركزاً للسمع والبصر والشم واللسان وكافة أعضاء الجسم الخارجية. والأمر لا يوقف عند ذلك فهذه المراكز المخية ليست أكثر من مراكز إستقبال أولية، فأعضاء الإحساس الخارجية مثل السمع والبصر هي مجرد مستقبلات حسية لعالم الخارج، تقوم بإرسال الإشارات الحسية إلى المراكز الأولية بالمخ، والتي بدورها تتعرف على تلك الأحاسيس وترسلها إلى مراكز الإدراك (مناطق الربط) (association areas) التي تقوم بإعطاء معنى لتلك الأحاسيس فندرك أن الجسم الذي نراه إنسان أو قلم أو كتاب، له مواصفات كذا وكذا.... وهكذا في كل حواسنا، وتحتوي هذه المراكز على نسخ متعددة من الخرائط الحسية، وتستخدم هذه النسخ في المقارنة (أو الربط) بين المدخلات الحسية مع الخبرات السابقة (11). ثم تقوم هذه المراكز بإرسال هذه الرسائل إلى مركز متقدم خاص بحاستي السمع والبصر فقط لإضافة مزيد من المعلومات لهما، ثم ينتهي أمر تلك الرسائل عند منطقة ربط نهائية تقع في الفص الأمامي للمخ وقد تكون هي

اللب المقصود في القرآن. وهذه المراكز تلعب دورا مهما في المهارات المتقدمة مثل المعارف البصرية، وفهم اللغة (المسموعة والمقروءة)، الكلام، استرجاع الكتابة والذاكرة. والمنطقة الأمامية كبيرة في البشر على وجه الخصوص، ويعتقد أن تكون مسؤولة عن المهام الأعلى كخلاصة الفكر والشخصية والعاطفة (أنظر الرسومات التخطيطية).

ولنا أن نقول أن الصوفية جعلوا القلب مرادفا لمراكز الربط المخي (association areas). وهي المناطق التي عندما تصاب بعطب أو مرض ما نرى الهلوس أو الأوهام. وهذا يجعلني شخصيا أقرأ قول الله تعالى "أليس لهم قلوب يعقلون بها" بصورة مختلفة حيث المعني يصبح أليس لهم (association areas) تفكر وتترجم ما يرون ويسمعون، والأستفهام هنا استدلالي كي يتعرف فيه الانسان على القلب الحقيقي المسؤول عن هذا القرار وليس مجرد إستسهال الظن أن القلب هو تلك العضلة المجوفة التي تدفع الدم.

وهنا يؤكد القرآن الكريم على معنى أن القلب هو مكان التفقه والعقل بآيات عدة نذكر منها التالي: الأعراف الآية ١٧٩ لهم قلوب لا يفقهون بها. الإسراء ٤٦ وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه.

الحج ٤٦ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها. والصوفية بذلك كانوا أكثر تقدما في فهم الباطن والتركيز عليه على حساب الظاهر من الأمور (انظر الرسم التوضيحي التشريحي وكذلك الرسم التوضيحي لكيفية تعاون مراكز المخ لتحقيق الفهم لما نسمعه او نقرأه) وأظن أن هذه الفكرة تحتاج إلى مزيد من البحث والتحصيل ولكن لا يسع المكان لذلك.

حواس الإنسان (السمع- البصر- الشم- اللمس- التذوق)

أعصاب السمع، البصر، الخ



مناطق إستقبال أولية (السمع في الفص الصدغي- البصر في الفص

الخلفي -الخ)



مناطق إدراك متوسطة كل على حده (السمع- البصر- الإحساس- الخ....)



منطقة إدراك كلي للسمع والبصر فقط (أسفل الفص الصدغي) (الفؤاد عند

الصوفية)



منطقة الربط لترجمة كل الأحاسيس مجتمعة (ما بين الفص الخلفي

والصدغي)(القلب عند الصوفية)



منطقة عليا لإضافة المفاهيم المركبة من خلال هضم الحاضر والمتوارث من

الأفكار ومن ثم الخروج بقرار أو وجهة نظر خاصة (الفص الجبهي)(اللب

عند الصوفية)

صورة 2 توضيح لكيفية تدفق الأحاسيس إلى مناطق المخ المختلفة ومقابل

ذلك عند الفكر الصوفي.

ولقد حلل الصوفية هذا الجهاز الى مناطق او مقامات اربعة متصاعدة هي مقام الصدر ومقام القلب ومقام الفؤاد ومقام اللب وربطو كل مقام بحالة من حالات النفس الاربعة المذكورة في القران وهي النفس الامارة بالسوء والنفس اللوامة و النفس الملهمة والنفس المطمئنة .

1 - مقام الصدر

واول مقامات القلب يسمى الصدر وهو الجزء الخارجي وسمي صدرا لانه صدر القلب واول مقاماته كصدر النهار والصدر ساحة مفتوحة ترد اليها كافة امور الانسان سواء منها ما يرد من جانب العقل او من جانب الهوى حيث يتم التدبير وتصدر الاوامر الى الجوارح بالتنفيذ، وهو موضع حفظ العلم المسموع او كل ما يعبر عنه باللسان، ويكون أول سبب الوصول اليه التعلم والسمع. والصدر كذلك موضع النفس الامارة بالسوء. فالصدر اذن هو ميدان يصطرح فيه العقل مع الغرائز او مع الهوى ومن هنا فانهم يرون ان الانشراح والضيق انما يضافان الى الصدر ولا يضافان الى غيره من مقامات القلب يقول تعالى :

" كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ " (الأعراف (2). أَلَمْ تُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " الشرح (1) " فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ " هود (12) .

أما من ناحية الوظيفة الادراكية العلمية للصدر فان العلم لا يصل إليه إلا بالتعلم والتحفظ والاجتهاد والتكلف من جهة السمع والخبر. فالصدر اذن علمه او ادراكه ادراك عقلي كسبي نتيجة تحليل وجهد في الحفظ والنظر(10).

والصدر بهذا المعنى نظير الفص الأمامي للمخ (Frontal lobe) في العلم الحديث حيث يوجد مركز الكلام والحركة والشم وزيادة عن ذلك فهو يحتوي على المقدمة (الفص الجبهي) (prefrontal lobe).

2 - مقام القلب

يقول الحكيم الترمذي : (والقلب هو المقام الثاني فيه .. وهو داخل الصدر .. وهو كسواد العين الذي هو داخل العين .. كموضع الفتيلة من القنديل) وهو معدن اصول العلم لانه مثل عين الماء والصدر مثل الحوض يخرج اليه العلم من القلب، او يصل إليهن طريق السمع) وبهذا تتميز لدي الانسان طريقتان للمعرفة ، طريقة الحس والعقل وطريقة القلب ، ومن هنا ندرك ان معرفة الصدر تكون اما من الطريق الاول الحس والعقل أو فطرية من القلب أو أن تكون منهما معا، ذلك ان الصدر مثل الحوض والمعرفة ماؤه ، والماء قد يتجمع في الحوض من الجداول والقنوات الخارجية ، او قد ينبع اليه من الباطن الى جانب ذلك .وقد خص الصوفية هذا المقام من القلب بانه عين القلب يقول ذو النون المصري : (خص الله خصائص من خلقه ، فنظروا من اعين القلوب الى محجوب الغيوب) . ولئن كان الصدر موضعا يصدر اليه علم العبارات فان القلب معدن العلم الذي تحت علم العبارة وهو علم الحكمة والاشارة.وكذلك فان العلم الذي يدخل في الصدر من خارجه لا يتمكن فيه الا بعد التكرار وجهد الاعتبار والمواظبة عليه اما ما خرج اليه من داخل القلب من لطائف الحكمة وشواهد المنة فاستقراره في الصدر متمكن ومعنى علم العبارة: ان يعبر عنه باللسان اما علم الاشارة فمعناه ان يشير - الله بقلبه - أي بقلب المؤمن الى ربوبيته ووحدانيته وجلاله وقدرته

وجميع صفاته ، وحقائق صنعته وفعله لذا فان الصوفية يذهبون الى ان علم العبارة حجة الله على خلقه يقول الله لهم : ماذا علمتم فيما علمتم ؟ اما علم الاشارة فهو محجة العبد الى الله ... بهداية الله تعالى له انه من عليه يكشف قلبه بمشاهدة غيبة ورؤية ما وراء حجبته كأنه يرى ذلك كله بعينه حتى لو كشف به الغطاء لما زاد في نفسه .ويرى الصوفية ان (العلم المسموع الذي يحفظ في الصدر - انما هو حجة الله على النفس، وهو يشترى به الدنيا، ويستغني به عن الدين الذي هو أنفع له، ولا يعمل به ليكشف الله له من العلم النافع، والعلم النافع - فيما يعتقدون - هو علم القلب ، وما ذلك الا لعقيدتهم الراسخة بان العبد إذا عمل بعلمه الكسبي اورثه الله سبحانه جملة من العلوم غير المكتسبة. وللصوفية مع القلب - الذي هو المقام الثاني للجهاز المتكامل الذي يطلقون عليه اسم القلب - علاقة حميمة فانه (لا غاية لغور بحاره، ولا عدد لكثرة انهاره لان الله سبحانه أودعه خزائن القلوب).ومما تجدر بالاشارة اليه ان للصوفية مصطلحا خاصا حول القلب يسمونه (جمهور القلب) أو كلية القلب.

ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله : في هذا ما يدل على أن بعض الصوفية كان يرى ان كلية القلب وهو المصطلح المقابل لمصطلح يونج النفسي (unconciounesscollective) : وهي موضع الاتصال: بالله وان الانسان لا يرى في الحقيقة سوى أعماق نفسه التي ليست شيئاً سوى سر الربوبية المتصلة بالنفحة الالهية ويلخص التنسري فكرته هذه بقوله : (للقلب قلب وهو جمهور الشيء). ورأى الصوفية أن لهذا القلب عدة خصائص تلنقي كل

مجموعة منها بنطاق من نطاقاته فمنها يعبر عن النطاق العاطفي او الوجداني فالقلب حينئذ معدن التقوى والسكينة والوجل والاختبات اللين والطمأنينة وحب الايمان وزينته ومنها ما يعبر عن النطاق الاخلاقي كالخشوع والتمحيص والطهارة ومن هذه الخصائص ما يشير الى النطاق المعرفي في القلب كالامتحان له .ومما يذكر للصوفية أنهم قد استقوا هذه الخصائص من القران الكريم وذكروا من الايات التي تشير الى الجانب الوجداني للقلب:

قوله تعالى: "وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" الحجرت (7) ، "أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ" المجادلة(22) ، "مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبًا مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ" النحل (106) "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا الفتح(4) " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ" الحديد(16) (10).

وبالعودة إلى الرسم التخطيطي السابق (صورة 2،3) نجد أن القلب هو منطقة الربط لفهم كل الأحاسيس وهي في النصف الخلفي للمخ، والتي تحوي كل الصور والخبرات السابقة للشخص أو النوع البشري ككل.

3. الفؤاد

أما المقام الثالث من مقامات (القلب) على سعة معناه أو

الجهاز المتكامل للأنسان فهو : (الفؤاد) والصوفية يرفعون مكانة الفؤاد فوق مكانة الصدر والقلب، إذ إنه كلما أستفاد الرجل استفاد فؤاده أو لا ثم القلب.

يقول الترمذي : (وصف الله تبارك وتعالى ربطه قلب العبد فقال في قصة أصحاب الكهف " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا " وفي قصة أم موسى

"لولا أن ربطنا على قلبها"، أما الفؤاد فانه يرى ويعاين فيقع له الفراغة ولا يحتاج الى الربط بل يحتاج الى معرفة المدد بالهداية قال تعالى " وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " القصص(10)" فوصف الفؤاد بالفراغة، إذ القلب يحتاج الى الربط والفؤاد يرى ويعاين وهي أعلى المراتب - بالرؤية والمشاهدة ومعدن الرؤية - لديهم - هو الفؤاد قال تعالى "مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ" النجم(11) إذا وظيفة مقام القلب هي العلم أو المعرفة والرؤية الآتية من الله تعالى، أما وظيفة الفؤاد فهي الرؤية المادية الملموسة، وله ارتباط وثيق بالبصيرة ومن ذلك ما ورد عنهم : انعكس بصري في بصيرتي فرأيت من ليس كمثلته شيء يقول تعالى "كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ " النكاثر(5).

كما يرى الصوفية أن قصة موسى عليه السلام مع قومه برهان على ذلك لان الله تعالى لما أخبر موسى أن قومه أتخذوا العجل إلها أشد غضبه ورجع الى قومه غضبان اسفا لما أيقن باخبار الله تعالى عنهم (علم يقين) فلما عاينهم يعبدون العجل القى الالواح وأخذ برأس اخيه وازداد غضبه حدة، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "ليس الخبرُ كالمعاينةِ إن الله

عزَّ وجلَّ أخبر موسى عليه السلام بما صنع قومُه في العجلِ فلم يلق الألواحَ فلما عاينَ ما صنعوا ألقى الألواحَ فانكسرت"

الراوي: عبد الله بن عمر، المحدث: الهيثمي، المصدر مجمع الزوائد، الحكم: صحيح(10).

وبالعودة إلى الرسم التخطيطي السابق نجد أن الفؤاد هو منطقة الإدراك البصري والسمعي (منطقة المعايين)، والتي تحوي كل الصور والمشاهدات والسمعيات الآتية وترجمتها قبل إرسالها إلى منطقة الربط الكلي (القلب) لإعطائها مفهوما داخل إطار المعرفة الكلية للحدث.

4. اللب

واللب عند الصوفية هو بمثابة المقام الرابع من مقامات القلب أو الجهاز المتكامل ويقولون: انه عند عامة أهل الادب ومن لهم معرفة بشيء من اللغة ان اللب هو العقل، ولكن بينهما فرق كما بين نور الشمس ونور السراج). وهذا الفرق لا ينفي أن هناك ظاهرا بين اللب والعقل هو ان كليهما نور ... والانوار لا يستوي سلطانها بل يتفاضل احدها على الاخر، لان اللب عندهم هو موضع نور التوحيد ونور التقريد وهو النور الاتم والسلطان الاعظم) والانوار عندهم اربعة، نور الاسلام ونور الايمان ونور المعرفة ونور التوحيد وهذا النور الاخير هو النور الاصل لجميع الانوار ومعدنه هو اللب. فالصوفية وان اطلقو اللب على العقل او العكس فانهم يجارون في ذلك عامة اهل اللغة والادب مع ادراكهم للفرق بينهما ... ولهذا فانهم مع مجاراتهم لعامة اهل اللغة والادب لا يطلقون اللب على مطلق العقل لكنهم يطلقونه على نوع مخصوص من العقل هو العقل المسترشد وهو ليس كالعقول والمركبات في النفس التي هي داخله

ولكنه نور مبسوط كالاشياء الاصلية، وهو العقل الموفق، يقول الحارث المحاسبي: (كل شيء جوهر، وجوهر الانسان عقله، وجوهر العقل توفيق الله). وهذا اللب لا يكون الا لاهل الايمان الذين هم من خاصة عباد الرحمن الذين أقبلوا الى طاعة المولى، وأعرضوا عن النفس الدنيا فالبسهم لباس التقوى، وصرف عنهم انواع السبلاء فسامهم الله (أولي الالباب) وخصهم بالخطاب وعاتبهم، ومدحهم، فقال الله تعالى " أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا " الطلاق (10) وقال سبحانه " وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " البقرة (197) وقال سبحانه " يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ " البقرة (269) وقال تعالى " هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ايراهيم (52) وقال سبحانه " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ص (29) .

يقول الترمذي: (فمدح الله اولي الالباب، وبين مراتبهم وسرائرهم مع ربهم وفضلهم في فقههم وفهمهم وحلمهم حتى أعجز امثالنا عن ادراك احوالهم لانه خصهم بنور اللب ما لم يفعل ذلك بغيرهم) .

نتبين من كل ما سبق وجهة نظر الصوفية حول اللب الانساني وما به من ملكات متصاعدة للادراك وارتباط الادراك بامور اخرى مثل الدوافع والغرائز ونتبين ايضا ربط الصوفية لهذه الكلمات في نسق منسجم (10).

وبالعودة إلى الرسم التخطيطي السابق (1،2) نجد أن اللب هو منطقة الربط للوظائف المعرفية العليا أو الفص الجبهي وهي ما يميز كل إنسان عن غيره من البشر. وفي العلوم الحديثة يطلق

على الفص الجبهي للمخ أنه الإنسان، لأن حجمه ثلث حجم المخ، أما الحيوانات فلها فص جبهي صغير، إذا الفص الجبهي هو قمة التطور في سلم الخلق. وله من الوظائف الكثير (انظر مقالتي عن اضطراب الفص الجبهي عند مرضى إيمان الكحول (12)). أهم هذه الوظائف: التخطيط والتدبير، الوظائف التنفيذية، والذاكرة الأتية وغير ذلك الكثير. والجزء "بريفرونتال" يشكل ما يقرب من ثلث سطح القشرة المخية، وكثيراً ما يرتبط الجزء المسمى "أوربيتوفرونتال" مع السلوك الأخلاقي أو الاجتماعي أو العاطفي وقد سمي مركز "الذات الاجتماعية" .. أما الجزء المسمى "سوبيرولاتيرال" غالباً ما يسمى "المركز التنفيذي" للدماغ و "الذاكرة العاملة".

وقد لوحظ أن المرضى الذين يعانون من آفات الفص الأمامي على جانبي الدماغ غالباً ما يتعرضون لضعف في مختلف اختبارات الذكاء، ولكن الأسرة والأصدقاء وأرباب العمل يلاحظون "تغييرات شخصية" مثل السلبية، والتسرع، وإظهار سوء الحكم، فضلاً عن عدم الاهتمام بالنتائج المترتبة على أفعالهم. بل يصبح المريض غير قادر على شرح معنى مثل شعبي مثل عبارة "لا تيكي على اللين المسكوب"، وكذلك يصاب المريض بعدم القدرة على التحكم في دوافعه مما يؤدي إلى عواقب إجتماعية وأخلاقية وخيمة، مثل الإفراط في الخشونة وتعكر المزاج والإفراط في الجنس (13).

لم يتطرق كثيراً ابن عطاء الله إلى تلك المقامات ولكن نظر إلى القلب كمركز للمعرفة. وهو لب الشخصية، حيث تتعرف الذات على خواصها منه، ويظهر أحياناً للآخرين في صورة سلوك. ولم يشر إلى المكان التشريحي للقلب. ورأى أن المعنى الباطن للآية الكريمة "ظَهَرَ

الفساد في البرِّ و البحرِ بما كَسِبَتْ أيدي النَّاسِ " الروم (41) أن الله مثل الجوارح بالبرِّ ومثل القلب بالبحر، لأنهما أعم نفعاً وأكثر خطراً، ثم يتساءل ألا ترى أن القلب سمي قلباً لتقلبه ويُعد غوره؟

مراجع الباب الأول

السنة غير مكتوبة في معظم المصادر ونفس المصدر مكرر

(1) ابن عطاء الله السكندري. التنوير في اسقاط التدبير. مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات) رقم 1229256137/5 ، تاريخ النسخ 970 هجرية.

(2) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن، ص 80. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1321 هجرية.
(3) ابن منظور ، لسان العرب، 6/233. الموسوعة الإلكترونية الشاملة، المملكة العربية السعودية.

(4) عبد الخالق عبد السلام الشبراوي، مراتب النفس 11، 12. الموسوعة الإلكترونية الشاملة، المملكة العربية السعودية.
(5) على سالم عمار "أبو الحسن الشاذلي ، عصره" 1/169. الموسوعة الإلكترونية الشاملة، المملكة العربية السعودية.

(6) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن، ص 204، 205. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1321 هجرية.

(7) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن، ص 75. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1321 هجرية.
(8) ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن، ص 32. المطبعة الميمنية، مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1321 هجرية.

(9) www.almaany.com/home.php?language=arabi

(10) محمد عبد الله الشرقاوي، الصوفية والعقل - ص 129-

ص 153. الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع

(11)<http://www.benbest.com/>

(12) Moselhy H, Georgiou G, Kahn A (2001) Frontal lobe changes in alcoholism: a review of the literature. *Alcohol and Alcoholism J*, 36 (5): 357-368.

(13)<http://www.mrothery.co.uk/nerves/NervesNotes.htm>

الباب الثاني: الصراع النفسي وأصوله

"أيها الإنسان لو أذن ربك لك أن تدبر كان يجب أن تستحي أن تدبر، وكيف وقد أمرك ربك أن لا تدبر. يامهموما بنفسه، لو ألقيتها إلى ربك لاسترحت. ويحك أعباء التدبير لا يحملها إلا الربوبية ولا تقوى عليها البشرية، ويحك أنت محمول فلا تكن حاملا، أراد ربك راحتك فلا تكن متعبا لنفسك. من دبرك في ظلمات الأحشاء وأعطاك بعد الوجود ماتشاء لا ينبغي لك أن تنازعه فيما يشاء"

ابن عطاء الله (بتصريف)

فصل: الصراع النفسي في العلوم الحديثة

الصراع النفسي هو تناقض بين قوتين أو فكرتين داخل عقل الإنسان، يؤدي بدوره إلى صدام بينهما. ويعبر الصراع عن وجود حاجتين لا يمكن إشباعهما في وقت واحد، مما يؤدي إلى التوتر الانفعالي، والقلق، بل ويصل إلى حد المرض النفسي. و هنا يكون علينا الاختيار، ويكون على المرء، في كل الحالات، أن يصل إلى حل لهذا الصراع، حتى يتحقق له الارتياح من حالة القلق والتوتر المصاحبة لاستمرار هذا الصراع. ويرافق حالة الصراع دوما حالة من الإحباط، والسبب في ذلك هو أن الشخص حتى إذا نجح في حل الصراع وإشباع أحد الدافعين فإن ذلك يكون على حساب الدافع الآخر، والذي يعني بدوره الفشل في إشباعه، لذلك فالصراع ينطوي

دوما على إحياء وتوتر، حتى وإن حل مؤقتا. وتتعدد نظريات الصراع النفسي، فلنستعرض بعض منها قبل الذهاب إلى عالم الصراع النفسي عند ابن عطاء الله السكندري. بداية لا يمكن إغفال نظرية **سيجموند فرويد** كمؤسس لعلم التحليل النفسي ومؤلف لأول نظرية متكاملة عن الشخصية في علم النفس الحديث. قدم فرويد إفتراضية للتحليل النفسي جعل فيها اللاوعي مكانا لمعظم العمليات النفسية، وجعل لهذا اللاوعي الدور الأساسي في تناول الغريزة الجنسية. وكانت طرق البحث عند فرويد هي التداعي الحر، تحليل الأحلام، دراسة الحالات النفسية الفردية، ثم أخيرا تحايل الذات (1). ونظرا لشائبة ضعف طرق البحث أصبح تكرارها وبالتالي إثباتها أو نفيها صعبا للغاية مما أخرج النظرية من دائرة البحث العلمي وجعلها أقرب إلى النظريات الأدبية، مما ساهم في إغتراب علم النفس ووصمه لدى البعض بالعلم الكاذب (pseudoscience)، على أية حال ليس مجالنا هنا مناقشة تلك النظريات ولكن سنكتفي بعرضها.

وبالعودة إلى نظرية فرويد، نجد أنه أطلق أسم "الهو" "ID" على المكون الأساسي للذات، والهو هو الجزء المظلم وغير المتاح من النفس، وهو الممر المملوء بالإثارة والفوضى والترقب. وجعل فرويد "الهو" أساس الشخصية البشرية. وهو الفتحة الأساسية للجسد، ويستمد طاقته من الإحتياج الغريزي الممثل فيه. ونظرا لأنه جزء لاشعوري فلا علاقة له بالواقع ولا يخضع لمنطق التفكير، ولا يتتابع العامل الزمني. ويحكم دوافعه الشعور باللذة. فاللذة تعني تقليل التوتر والترقب وزيادة التوتر والترقب تعني تقليل اللذة، ولذا فوظيفة الهو

هي تقليل التوتر وعودة الشخص إلى حالة الثبات. بمعنى بسيط الهو هو الجزء الذئبي في الإنسان، أي أن أساس بناء النفس البشرية هو هذا الحيوان الباحث عن اللذة(1) .

ولتقليل تهديد العالم الخارجي ينفصل جزء من "الهو" ليكون "الأنا" "ego" ويستمد الأنا طاقته من الهو إلا أنه على وعي ودراية بالواقع، ولذلك يعمل كمثل للواقع عند الهو. ويعارض الأنا مبدأ اللذة ولا يسمح "للهو" بالتمادي في لذته حتى النهاية إحتراما للواقع. ويلجأ إلى عدم إلغاء اللذة ولكن تأجيلها إلى الوقت والظروف المناسبين، وهو بذلك يقلل من التوتر الناجم عن الرغبة في تحقيق اللذة وقيود الواقع الخارجي، وهو بذلك يحفظ التوازن مع كليهما. بمعنى بسيط هو الثعلب المراوغ، الباحث عن الفرصة المناسبة.

ثم ينفصل جزء آخر من "الهو" ليكون "الأنا الأعلى" "super ego" ممثلا للضمير وبذلك يصبح مراقبا على أفعال كل من الهو والأنا. ويتكون الأنا الأعلى حول سن السادسة وهو السن الذي يتم فيه حل عقدة أوديب. وهنا يقوم الأنا الأعلى بدور الأب مستمدا طاقته منه وكذلك متماهيا في طريقة أدائه. وبمعنى بسيط هذا هو الجزء الإنساني في النفس. (1)

آمن فرويد بغريزة الجنس لأنها تسبب كثيرا من الصراعات، وتمر بمراحل حتى تصل إلى النضج. وسمى الطاقة المصاحبة لها "الليبيدو" وجعلها السبب لكثير من الظواهر النفسية. جعل فرويد غريزة حفظ النوع والجنس تكمن داخل غريزة الحياة الأساسية وأطلق عليها أسم "إيروس". ولكن عندما قامت الحرب العالمية الأولى وشاهد فرويد حجم الدمار الذي سببه الإنسان، تغير فكر فرويد

ليصل إلى نظريته أن الإنسان به غريزتان متصارعتان هما غريزة الحياة وسماها "إيروس" وغريزة الموت وسماها "ثاناتوس". ودلل فرويد على غريزة الموت بالتحلل العضوي، والشيخوخة، والتدمير الذاتي مثل الحرب التي يشعلها الإنسان. وواصل فرويد أن الحياة والموت غرائز تتفاعل وتحتك بشدة داخل الإنسان. وحدد فرويد مراحل النمو النفسي في عدة مراحل هي: المرحلة الفمية (السنة الأولى من عمر الطفل)، يليها المرحلة الشرجية (حتى سن ثلاثة سنوات)، ثم المرحلة الأوديبيية (حتى سن ست سنوات)، بعدها يدخل الطفل في مرحلة من البيات حتى سن البلوغ. وحصر فرويد كل المشاكل النفسية بعلاقتها بتلك المراحل ومدى قدرة الطفل على حل مشاكلها (1).

أما السويسري **كارل جوستاف يونج** (1875-1961م) فقد قام بتطوير مجال علم النفس التحليلي (2). وقد تخطت دراساته علم النفس وأثرت على مجالات أخرى شملت علم الأجناس، والفلسفة، واللاهوت. عارض يونج كثيرًا من النظريات لسيجموند فرويد، على الرغم من تأكيده تأثير الوعي واللاوعي على سلوك الإنسان.

استخدم يونج في وقت مبكر من حياته العملية نظريات التحليل النفسي التي استحدثها فرويد. وتقابل الاثنان في عام 1907م، وتوثقت صلتها، وشارك يونج في حركة التحليل النفسي. وفي وقت لاحق بدأ يونج يعتقد أن فرويد اهتم أكثر من اللازم بالغرائز الجنسية في سلوك الإنسان. وقد أدى عدم تركيز يونج على الجنس إلى تخليه عن فرويد وانتهاء صداقتهما في عام 1913م. اعتقد يونج أن هناك عدة عوامل بجانب الجنس تحفز سلوك الإنسان. وأن الأبوين هما المؤثران

الرئيسيان على الطفل. وخلافاً لفرويد، اعتقد بأن الجنس لا يكون ذا أهمية حتى المرحلة التي تسبق سن البلوغ عند الصبيان. ومثله مثل فرويد، اعتقد يونج أن العقل الباطن (اللاوعي) يحتوي على دوافع شخصية وتجارب لايعيها الشخص، إلا أنه اعتقد أيضاً أن المنتسبين لكل جنس يشتركون في مستوى أعمق من اللاوعي أطلق عليه اسم اللاوعي الجماعي. استنتج يونج أن اللاوعي الجماعي يشمل أنماطاً فكرية تدعى الطراز البدني الذي نما عبر القرون. وتصور أن الطراز البدني يمكّن الناس من التفاعل مع أوضاع تتشابه في سماتها مع الأوضاع التي عاشها أسلافهم. ولهذا السبب اعتقد يونج أن اللاوعي الجماعي يحوي الحكمة التي توجّه الصفات البشرية. كان يونج يعتقد أن الدين يؤدي دوراً رئيسياً في حياة الناس، من خلال تمكينهم من التعبير عن حاجة كامنة في اللاوعي لضرورة التجربة الدينية. يونج رفض تمييز فرويد بين الانا والانا الأعلى، وأطلق مسمى جديد هو "القناع" حيث يتألف القناع مما يظهر الشخص للآخرين على عكس حقيقة ما هي، وهو الانطباع الذي يريد الفرد تأثيره في العالم.

ألفريد ادلر (1870 - 1937)، من طلاب فرويد إختلف مع فرويد وكارل يونج بالتأكيد أن القوة الدافعة في حياة الإنسان هي الشعور بالنقص والتي تبدأ حالما يبدأ الطفل بفهم وجود الناس الآخرين والذين عندهم قدرة أحسن منه للعناية بأنفسهم والتكيف مع بيئتهم (3). أما الشعور بالنقص فقد جاء ادلر بهذا المصطلح ليبدل به على أن الأمراض النفسية لا تقف على المصاعب الجنسية وأيضاً ليعارض "فرويد" حول فكرة أن الغريزة الجنسية هي الدافع الذي

يُسير السلوك البشري رغم إيمانه بأهمية الدافع الجنسي. بدأ أدلر طرح فكرة الشعور بالنقص بالضعف الجسدي الذي هو شعور بالعجز ثم فيما بعد أضاف الجانب الاجتماعي وأصبح الشعور بالنقص ذو أبعاد ثلاثة جسدي ، ونفسي، وإجتماعي . ويرجع هذا الشعور إلى البدايات الأولى من التكوين النفسي. فالعجز والعيوب هي التي تولد الشعور بالنقص. وفي المقابل يطرح أدلر مفهوم الكفاح من اجل التفوق والذي يقصد به أن تكون حركة مستمرًا أمام وللأعلى وتحقيق الذات وبلوغ كمالها، وهو شئ فطري وتصدر عنه كل الدوافع الأخرى بطرق مختلفة تناسب كل شخص. أما العدوان، فقد طور أدلر الفكرة من خلال أعماله المتتالية فعرف العدوان كالآتي "العدوان هو إحساس بالكره نحو مشاعر العجز وعدم القدرة على تحقيق الإشباع، ويمكن للعدوان أن يتحول بطرق عديدة عندما لا يستطيع الفرد توجيهه للموضوع الأساسي ومنها تحول الدافع العدواني الى العكس كالغيرية، أو تحويل الطاقة العدوانية الى دافع بديل آخر، أو تحويل العدوان إلى الذات". ولقد أطلق عليه اسم "إرادة القوة" وقال إن الذكورة قوة والأنوثية ضعف وأن كل من الذكور والإناث يريد القوة ويتحمل الضعف وأطلق على هذه الظاهرة النفسية اسم "الاحتجاج الذكوري" أو الاحتجاج بالذكورة والتعالي بها لتبرير الانتحاء إلى القوة التي تعوض الضعف. ربط أدلر العدوان بالكفاح والبحث عن التفوق من اجل تحقيق الذات والكمال .

أما أنماط الشخصية ففي البداية قسم أدلر أنماط الشخصية إلى (تفاضلية، عدوانية، انطوائية، منبسطة) وفي سنة 1935 طورها مضيفا لها فاعلية الفرد ودرجة اهتماماته الاجتماعية وخرج بالنقسيات التالية:

النوع المتمسك بالقواعد: هو على درجة عالية من الإصرار والسيطرة والعدوان ويعاني من ضعف شديد في الاهتمامات الاجتماعية. **النوع النفعي** (النوع المتعلم للأخذ): يتوقع إشباع حاجاته ولديه اهتمامات اجتماعية ولكنها ضعيفة. **النوع الانسحابي:** أي الفرد يكون انسحابي وضعيف النشاط وليس لديه مقدرة على تحقيق أهدافه ولذا فان اهتماماته الاجتماعية ضعيفة بالمقارنة بكل المجموعات الأخرى. **النوع الاجتماعي:** نمط سوي ينشط للشخص أهدافه التي يسعى إلى تحقيقها في حدود أن لهم أهداف اجتماعية واضحة .

أوتو رانك (1884 - 1939) واحداً من الزملاء المقربين لسيجموند فرويد لمدة عشرين عامًا، نشر رانك عمله المهم صدمة الميلاد والذي آذن بانشقاقه ثم أدى إلى انفصاله عن فرويد وعن التحليل النفسي الأرتوذكسي. وفي هذا العمل، يؤكد رانك أن الاضطرابات النفسية والعاطفية تعود جذورها إلى تجربة ميلاد الإنسان نفسه، وأن كل إنسان يسعى شعورياً إلى العودة إلى حالة النعيم الأول التي تمتع بها حين كان في رحم أمه، ومن هنا تحتل الأم والطفولة موقعاً محورياً في نظريته.

وقد اختلف رانك مع فرويد وعلماء النفس الأكاديميين في عصره حول رؤيته للإنسان حيث رفض النظرية الآلية للسلوك الإنساني وتبنى نظرة تستند إلى إرادة الإنسان الحرة سواء في التعبير عن المعاني أو المبادرة بالفعل، وأعطى الوعي أهمية وفاعلية في النفس البشرية أكثر مما فعل فرويد الذي ركز على أهمية اللاشعور. وفي المجال التطبيقي، طور رانك ما عُرف باسم

«العلاج بالإرادة» والذي ركز على أهمية الإبداع سواء في العلاج أو في التعامل مع الواقع. واعتبر رانك أن العصاب تعبير عن عمل فني فاشل، وأن التحليل ميلاد ثان للمريض من خلال إعادة تأكيد ذاته والتعبير عنها.

إريك إريكسون: عالم نفس تطوري ومحلل نفسي دنماركي-ألماني-أمريكي معروف بنظريته في التطور الاجتماعي للإنسان (5) ، أصر دائما على أنه كان فرويدي، وان أفضل ما وصف به أنه من الفرويديين الجدد. حيث ركز على العوامل الحضارية والثقافية أكثر من البيولوجية ولاحقا المؤلفين وصفوه بأنه "عالم نفس الأنا". وقد اشتهر بسبب ابتكاره لمفهوم أزمة الهوية. على الرغم من أن إريكسون خرج من عباءة فرويد، إلا أن فهمه للمرور بثمانية مراحل للنمو تمتد حتى بعد سن البلوغ، كانت النقطة الفاصلة في الاختلاف عن نظرية فرويد التي حددت مراحل النمو النفسي في عملية تتم في السنوات الأولى من عمر الطفولة. نقطة أخرى ميزت إريكسون وهي تكوين الهوية، حيث إنتقد فرويد في تركيزه المبالغ فيه على الطاقة الغريزية وإهمال التاريخ كعامل مهم لتكوين الذات.

كل مراحل إريكسون في النمو النفسي محددة بالصراع النفسي حيث الحل يكمن في حدوث الصراع بشكل مناسب ليؤدي لنتائج مناسبة ويعطي معنى للحياة. ونتائج الصراع تسمى فضائل. ويمكن وصف المراحل كالتالي:

1- مرحلة طفولة الميلاد إلى عمر 18 شهر

صراع بين الثقة وعدم الثقة وتنتج الأمل في الحياة حيث علاقة الطفل بالأم واعتماده عليها وقدرتها على رعايته وحنانها له.

2- مرحلة الطفولة المبكرة: من 18 شهرا إلى 3 أعوام

صراع بين التحكم الذاتي في مقابل الخجل وينتج عن هذا الصراع ضبط النفس، الشجاعة، وخلال هذه المرحلة نتعلم استكشاف العالم ونتعلم مهارات رئيسية لأنفسنا، نتعلم المشي، والكلام وإطعام أنفسنا، والتدريب على استخدام المراض.

3- عمر اللعب من 3 إلى 5 أعوام

صراع بين المبادرة والإحساس بالذنب وتنتج الغرضية وفيها يستطيع الطفل تخطيط أو عمل أشياء بنفسه مثل ارتداء ملابسه. فإذا فشل في ذلك يشعر بالذنب وإذا نجح يشعر بالمبادرة.

4- سن الدراسة من 6 إلى 12 عاماً

المُتَابِرَة مقابل النقص وينتج الكفاءة—فالطفل يقارن تقدير الذات مع الآخرين في بيئة الصف مثلاً في قدراتهم، ووضع اريكسون هما على المعلم ان لا يشعر الاطفال بالنقص.

5- المراهقة: 12 إلى 18 عاماً

صراع بين الهوية والارتباك وينتج الصِّحَّة حيث المراهق يسأل نفسه من أنا؟ وما هو دوري وكيف أتوافق وأين أذهب في هذه الحياة؟ فإذا سمح الاباء للاطفال باستكشاف العالم عندئذ سيستخلصوا هويتهم اما إذا أجبر الآباء أطفالهم على اتباع ارائهم فسيحدث ارتباك وتشوش للهوية.

6- سن البلوغ: 18 إلى 35

صراع بين الألفة والوحدة وينتج عن ذلك الحب حيث يسأل الراشد الصغير نفسهم أريد أن أكون،ومن أواعد، وماذا سأفعل في حياتي هل سأستقر؟

7- البلوغ المتوسطة: من 35 إلى 55 أو 65

صراع بين الإنتاجية والركود وينتج عنها حب المساعدة والرعاية، أزمة منتصف العمر، في هذه المرحلة نقيس الانجازات والخسائر وهل أنا راض أم لا؟ والحاجة إلى مساعدة الجيل الأصغر وحدث الركود عند الفشل في كل ذلك.

8- سن الشيخوخة

صراع بين الارتياح وسلامة الأنا ضد اليأس، البعض يتعامل مع الموت جيدا ويكون راضي عن الماضي فيشعروا بالارتياح والبعض يكونون متألمين لانهم لم يحققوا الكثير وفشلوا في انجازاتهم في الحياة ويخافون الموت فينتج اليأس.

أما النظرية الأكثر حداثة فهي **النظرية المعرفية**، حيث قدمها **آرون بيك** الذي بدأ حياته كمحلل نفسي إلا أنه كان غير مقتنع بتفسير نظرية التحليل النفسي للاكتئاب ثم انصب اهتمامه على فحص وجهة النظر عند فرويد فيأن الأكتئاب عبارة عن غضب موجة نحو الداخل (نحو الذات) ، وبالعامل مع هؤلاء المرضى، وجد أنهم يعانون من تيارات أفكار سلبية التي يبدو أنها تظهر تلقائيا (6). أطلق حينها على هذه الأفكار مصطلح "الأفكار الأتوماتيكية"، واكتشف أن محتواها ينقسم إلى ثلاث فئات: أفكار سلبية عن أنفسهم ، والعالم والمستقبل. وبدأ مساعدة المرضى بتحديد وتقييم هذه الأفكار، ووجد انه بالقيام بذلك تمكن المرضى من التفكير بصورة أكثر واقعية، والذي دفعهم الى الشعور بعاطفة أفضل والتصرف بفاعلية أكبر . ويتضح من كتابات بيك أن النظرية المعرفية للأمراض النفسية تتخذ من الكيفية التي تتم من خلالها معالجة المعلومات المحور الأساسي الذي تدور حوله تفسيرات النظرية المعرفية للاضطرابات النفسية

التببعاني منها الإنسان . وتفترض هذه النظرية أن وجود الاضطرابات لدى الفرد مرتبط بوجود تحيز وأخطاء في معالجة المعلومات لديه , كما تفترض وجود أبنية معرفية (مخطوطات)كامنة عاجزة عن التكيف تسيطر على المريض من خلال ما ينتج عنها من أفكار داخلية تلقائية تصاحب الاضطراب وتساعد على استمراره.

وللإنسان من وجهة النظر المعرفية دور نشط في تكوين واقع خاص به . ويعتمد الإنسان في رؤيته لما حوله على نظام معالجة المعلومات لديه الذي يختار من خلاله , ويغير , ويفسر المثيرات التي تصادفه . وتلعب المعاني الشخصية (الذاتية) التي يعطيها لما يعترضه من حوادث دورا هاما في قدرته على التكيف , فقد يستجيب باستجابات سلوكية أو انفعالية غير متكيفة إن هو أخطأ في تفسير ما يحدث من حوله . وهكذا فإن المعرفة تؤثر على الانفعالات وعلى السلوك , ومع ذلك فإن النظرية المعرفية لا تفترض أن الأفكار تسبب السلوك أو الانفعالات (وبالذات في الكتابات الحديثة لأصحاب تلك النظرية) , لأنها (الأفكار) لا تسبق الانفعالات أو السلوك في كل الأحوال , وترى عوضا عن ذلك أن هناك تفاعل وتأثير متبادل بين هذها المتغيرات . تفترض النظرية المعرفية انه من الممكن التعرف على الأفكار واستنباطها ولكن ذلك لا يعني أن الأفكار كلها تقع تحت طائلة الفرد , فالأفكار التلقائية تقلتمن سيطرته وتزعجه ولكن من الممكن تدريبه على مراقبة ورصد هذه الأفكار ثم التخلص منها , أو إبطال مفعولها غير الايجابي عليه . وأخيرا يفترض في النظرية المعرفية

أنهم الممکن إحداث تغيرات انفعالية وسلوكية وجسمية من خلال إحداث تغييرات في أفكار و اعتقادات المريض.

وعلى الرغم من ان هذه الافكار لا تخرج عن كونها فرضيات نظرية، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن الصراعات سواء كانت داخلية لا شعورية أو خارجية بيئية فهي تؤدي في النهاية إلى التوتر، والذي بدوره يؤدي إلى زيادة هرمون الكورتيسول، والذي يفضي إلى نقص بل ونضوب مادة السيروتونين من المخ، مما يؤدي إلى مرض الإكتئاب. وهذا ما يطلق عليه في الأبحاث الحديثة الجانب البيولوجي للسلوك الإجتماعي.

فصل: نظرية الصراع عند ابن عطاء الله السكندري

والآن جاء دور ابن عطاء الله وأمر النظرية عند ابن عطاء الله الله كان مختلفا. يقدم ابن عطاء الله نظريته عن أمراض الإنسان النفسية أو كما سماها "أمراض الغفلة"، بشكل آخر غير مسبوق في العلوم النفسية قديمها وحديثها. هذه النظرية تناولها ابن عطاء الله تفصيلا في كتابه "التنوير في إسقاط التدبير" (7). تتلخص النظرية في أن الانسان عندما ينشغل عقله بتدبير ما ليس له من الامور فهو بذلك يأخذ عملا ليس له لأنه لله وحده، وهنا يصبح الإنسان متحديا لله. ويصبح الإنسان هنا في صراع مع الله. هنا يصير الإنسان متصارعا مع كل الكون لأنه تصارع مع مالك هذا الكون. إذا أساس الصراع عند ابن عطاء الله هو صراع الإرادات وهو صراع معرفي " cognitive " يشكل فيه الإنسان عن عمد (وعى) أو عن جهل (لا وعى) إرادته ويدبر هو شؤون حياته، ولا يدري أنه بذلك تقمص شخصية الإله. والتدبير كما هو معروف وظيفة الفص

الجهي للمخ (الناصية). الخطأ المعرفي عند ابن عطاء خطأ نتج عن تضخيم قدرات الذات إلى الحد الذي جعل الانسان في مواجهة الاله، أو تولى الانسان زمام ذاته وراح يدبر شؤونها. والفرق هنا شاسع عن الخطأ المعرفي عند "بك" صاحب النظرية المعرفية والعلاج المعرفي السلوكي، حيث أن "بك" جعل الإكتئاب يعود إلى سلبية رؤية الشخص عن نفسه والعالم والمستقبل، وهو على العكس تماما من نظرية ابن عطاء الله، الذي رأى الإيجابية الزائدة عن النفس إلى حد التضخم الغير متناسب مع ضعف قدرات الانسان. والأمر لا يقف عند حد الفرضيات عند ابن عطاء الله بل يطرح منظومة معرفية للوصول إلى الغاية وهي التسليم المطلق الخالي من الصراعات النفسية.

ويستدل ابن عطاء الله على نظريته بالآية الكريمة:

" فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا " النساء(65).

وقول الله تعالى فيه دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولاً وفعلاً وأخذاً وتركاً وحباً وبغضاً، ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التصريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما. فاحكام التكليف هي الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التصريف هي ما أورده الله على الإنسان من قهر المراد فتبين من هذا أنه لا يحصل له حقيقة الايمان إلا بأمرين بالامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم إنه سبحانه وتعالى لم يكتف بنفي الايمان عن من لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه على ما قضى حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة

برسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه لم يقل فلا والرب، وإنما قال فلا وربك. ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم عليه. علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبه ووجود النصره سواء كان الحق عليها أو لها. ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه صلى الله عليه وسلم، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها (التتوير ص 3).

ويقدم ابن عطاء الله ثلاثة مراحل لإسقاط التدبير وهي أولا: التحكم وهو الرضا بحكم الله وتنفيذه في أوامره ونواهيه. ثانيا: مرحلة عدم وجدان الحرج. ثالثا: وجود التسليم المطلق وهو الذي يؤدي إلى أعلى درجات السلام النفسي، وذلك لأننا أحيانا مانقبل التحكم ظاهرا ولكن تكون الكراهة موجودة، فكان لا بد من فقدان الحرج حتى يصل الإنسان إلى التسليم (التتوير ص 7).

ويؤيد ابن عطاء الله رأيه بأسقاط التدبير بأدلة أخرى من القرآن الكريم "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" القصص (68). وتتضمن هذه الآية الإلزام للإنسان بترك التدبير مع الله لأنه إذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر ما يشاء فمن لا خلق له لا تدبير له. ويتضمن قوله ويختار انفراده بالاختيار وفي ذلك إلزام الإنسان بإسقاط التدبير والاختيار مع الله تعالى، إذا ما هو الله لا ينبغي أن يكون للإنسان. ويضيف ابن عطاء أن قوله تعالى عما يشركون هو تنزيه لله تعالى أن يكون لهم الخيرة معه وأن من ادعى الاختيار مع الله فهو مشرك مدعي الربوبية بلسان حاله وإن تبرأ من ذلك بمقاله (التتوير ص 7).

يسوق ابن عطاء دليل آخر من القرآن الكريم وهي الآية الكريمة " أَمَلٌ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى " النجم (24) . وفيها إلزام للإنسان بترك التدبير مع الله تعالى أي إذا كان لله الآخرة والأولى فليس فيهما للأنسان شئ فلا ينبغي له التدبير في ملك غيره وإنما ينبغي أن يدبر في الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى. ويدلل ابن عطاء بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا" (الراوي العباس بن عبد المطلب، المصدر: صحيح مسلم، خلاصة الحكم:صحيح) قائلًا أن من لم يكن كذلك لا يجد حلوة الايمان ولا يدرك مذاقه وإنما يكون ايمانه صورة لاروح فيها وظاهرا لا باطن له ومرتسما لا حقيقة تحته، وفيه إشارة إلى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تنعم بملذات المعاني كما تنعم النفوس بملذات الأطعمة وإنما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لأنه لما رضي بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه خارجا عن تدبيره واختياره إلى حسن تدبير الله واختياره فوجد لذة العيش وراحة التقويض، ولما رضي بالله ربا كان له الرضا من الله كما قال الله تعالى " قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (المائدة 119).

ويكمل ابن عطاء الله. ولا يكون الرضا بالله إلا مع الفهم ولا يكون الفهم إلا مع النور. فلما تصل أنوار الله ومدده يعاقى القلب من الأمراض والأسقام ويصبح سليم الإدراك والنوق فيدرك لذة الإيمان والتسليم لله. إذا جزء مهم عند ابن عطاء هو الفهم الذي يصح به إدراك المعاني وبالتالي الخلو من الصراع، مما يجعل الإنسان سليم معاقى في نفسه (التتوير ص 8).

ويسوق لنا ابن عطاء الله الأسباب التي وجب على الشخص معرفتها لأسقاط التدبير مع الله، وذكر لنا أسبابا عشر (التتوير ص 9-12):

أولاً: على الإنسان أن يدرك أن الله كان للإنسان قبل أن يكون نفسه، أي أن الله تعالى دبر للإنسان مذ كان عدما، فإذا كان الأمر كذلك فله أن يدبر له الأمر بعد الوجود. ثم يضيف أما كيف يدبر الله للأشياء وهي مازالت عدما، ويجب عن ذلك بقوله، أن للأشياء وجود في علم الله وإن لم يكن لها وجود في أعيانها، فالله سبحانه يتولى تدبيرها من حيث أنها موجودة في علمه. ثم يختم هذه النقطة بقوله تعالى:

" **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكِ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ "** المؤمنون 12، 13، 14.

ثانياً: أن يعلم الفرد أن التدبير منه نفسه جهل بطبيعتها، وأن المؤمن الصحيح النفس علم انه اذا ترك التدبير مع الله كان له حسن التدبير منه لقوله تعالى " **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "** الطلاق (3).

ثالثاً: العلم أن القدر لا يجري حسب تقدير الشخص، بل أكثر مايكون مالايدبره وأقل مايكون مايدبره الشخص. وإذا كان التدبير من الشخص والقدر يجري على خلاف ذلك، فما فائدة تدبير لا تنصره الأقدار، ولذلك وجب التدبير لمن بيده المقادير.

رابعاً: العلم أن الله تعالى هو المتولي لتدبير مملكته، فنسبة

وجود الإنسان في هذه المملكة لأشئ مقارنة بالأرض والسماء، والعرش والكرسي. فاهتمام الإنسان بأمر نفسه وتدبيره لها هو جهل منه بالله، كما قال تعالى

"وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ" الانعام (91) .

فلو عرف الإنسان ربه لأستحي أن يدبر معه، فلا يدفع الإنسان إلى التدبير إلا حجه عن الله، لأن الموقنين يروا أنفسهم مدبرين لا مدبرين. ثم يدلل إين عطاء الله بقول الله تعالى " **إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ** " مريم (40) وفي ذلك تزكية للملائكة وإشارة إلا أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم ولا منتسبين لما نسب إليهم، إذ لو كان كذلك لقال إنا نحن نرث الأرض والسماء. ولكن نسبتهم إليه وهيبتهم وولهم له من عظمتهم منعهم أن يركنوا لأشئ دونه. وعلى الإنسان كما سلم الله تدبيره في أرضه وسمائه، أن يسلم له تدبيره في وجوده، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.

خامسا: علم الإنسان أنه ملك لله، وليس له تدبير ما هو لغيره. وإذا كان الإنسان يرفض أن ينازعه أحد فيما يملك، فعليه ألا ينازع الله فيما يملكه لأن ذلك أولى وأحرى، لاسيما وقد قال الله تعالى " **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** " التوبة (111). فلا ينبغي لشخص بعد المبايعة تدبير ولا منازعة لأن ما باعه وجب عليه تسليمه وعدم المنازعة فيه، والتدبير فيه نقض لعقد المبايعة. ويروي إين عطاء

الله أنه دخل على الشيخ أبي العباس يوماً يشكو إليه بعض أمره، فقال له إن كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ولن تستطيع ذلك أبداً، وإن كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ما شاء، ثم قال له الراحة في الإستسلام إلى الله وترك التدبير معه وهو العبودية.

سادساً: على الشخص أن يعلم أنه في ضيافة الله لأن الدنيا دار الله وهو نازل فيها عليه ومن حق الضيف أن لا يعولهما مع رب المنزل. وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام "الضيافة ثلاثة أيام" (الراوي أبو هريرة، المحدث: السيوطي، المصدر الجامع الصغير، الحكم: صحيح). فلإنسان عند ربه ثلاثة أيام ضيافة. وقد قال تعالى " وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ " الحج (47) فلنا ثلاثة آلاف سنة ضيافة مدة إقامتنا في الدنيا منها وهو سبحانه مكمل ذلك بفضله في الدار الآخرة وزائد على ذلك الخلود الدائم.

سابعاً: التفكير الدائم في قيومية الله تعالى " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ " البقرة (255) . فالله تعالى قيوم الدنيا والآخرة. فقيوم الدنيا بالرزق والعطاء والآخرة بالأجر والجزاء. فإذا علم الإنسان قيومية ربه وقيامه عليه ألقى قيادة الأمر إليه، وانطرح بالإستسلام بين يديه.

ثامناً: اشتغال الإنسان بوظائف العبودية لقوله تعالى "وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" الحجر (99) . فإذا توجهت همه الشخص إلى رعاية واجب العبودية لله شغله ذلك عن التدبير لنفسه والإهتمام بها.

تاسعا: روح مقام العبودية الثقة بالله والإستسلام إلى الله تعالى وكل منهما يناقض التدبير مع الله تعالى والإختيار معه. فالمفترض أن يقوم العبد بالخدمة والسيد يقوم له بوجود القسمة، والله تعالى يقول " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى " طه 132، أي قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بإيصال قسمتنا.

عاشرا: عدم العلم بعواقب الأمور، فربما دبر شخص أمرا ظن أنه له فكان عليه. وربما تأتي الفوائد من وجوه الشدائد، والشدائد من وجوه الفوائد، والأضرار من وجوه المسار، والمسار من وجوه الأضرار. وربما كمنت المنن في المحن والمحن في المنن. وربما إنتفع الشخص على أيدي أعدائه وأوذي على أيدي أحبائه. وإذا كان الأمر كذلك فكيف لعاقل أن يدبر مع الله، والله تعالى يقول " وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " البقرة 216.

وكم من مرة أراد الشخص أمرا فصرف عنه فوجد لذلك غما في قلبه وحرجا في نفسه، حتى إذا كشف له عن العاقبة، علم أن الله سبحانه نظر له بحسن النظر من حيث لا يدري. ثم يدلل إبن عطاء الله بقصة الرجل الذي كلما أصيب أو أبتلني بشئ، قال خير. وفي ليلة جاء ذئب فأكل ديكاً له، فلما أخبر قال خير. ثم ضرب كلبه في هذه الليلة فمات، ولما أخبر قال خير. ثم نهق حماره فمات، فقال خير. وضاق أهله به ذرعا. وصادف في هذه الليلة أن هجم اللصوص على المكان فقتلوا كل من فيه إلا الرجل وأهله، وقد إستدل اللصوص على الناس بصياح الديك ونباح الكلاب ونهيق الحمير، وقد مات له كل ذلك، فكان هلاك هذه الأشياء سببا

لنجاته. والإنسان لا يشهد حسن تدبير الله إلا إذا إنكشفت له العواقب. وقد سمى ابن عطاء الله هؤلاء الناس بأهل الفهم عن الله وهم الذين شهدوا حسن تدبير الله قبل أن تتكشف لهم العواقب، ومنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له، ومنهم من حسن ظنه بالله علماً منه أن التدبير والمنازعة لا تدفع عنه ما قدر عليه ولا تجلب له ما لم يقسم له، ومنهم من أحسن الظن بالله تعالى لقوله عليه السلام حاكياً عن ربه "أنا عند ظن عبدي بي وأنا معهما إذا زكروني إن زكروني في نفسه ذكروته في نفسي إن زكروني في ملائكته في ملائكتهم إن زكروني في شبري تقربت إليه ذراعاً إن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً إن أتاني مشي أتيت به هرولة" (الراوي عبد الرحمن بن صخر، ورد في البخاري ومسلم)، فكان متعاطياً بحسن الظن بالله وأسبابه رجاء أن يعامل بمثل ذلك فيكون الله له عند ظنه. وأرفع من هذه المراتب كلها الإستسلام إلى الله تعالى والتفويض له بما يستحقه الحق من ذلك، لا لأمر يعود على الإنسان.

مخاطر التدبير والإختيار مع الله: وهنا يضرب ابن عطاء الله

أمثالا ثلاثة ليدلل على مخاطر التدبير (التتوير ص 13-20) (7):

المثال الأول: آدم عليه السلام إنما حمله على أكل الشجر فتدبيره

لنفسه، وذلك أن الشيطان قال لآدم وحواء عليهما السلام كما قال الله تعالى "فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ " الاعراف 20.

وفكر آدم عليه السلام في نفسه فعلم أن الخلود في جوار

الحبيب هو المطلوب الأسمى وانتقاله من الآدمية إلى وصف

الملكية أفضل أو ظن آدم عليه السلام ذلك. فلما دبر عليه السلام في نفسه هذا التدبير أكل من الشجرة. ثم يستطرد ابن عطاء الله في شرح خصوصية الحدث حيث أنه خاص بنبي والأنبياء والرسل ينتقلون من حالة إلى حالة أفضل منها. ثم يعدد بعد ذلك فوائد وخصائص الحدث لآدم عليه السلام وهنا ليس مجاله. ثم ينهي هذا المثال ببناء متوازي ان كل شئ نهى الله عنه فهو شجرة والجنة هي حضرة الله، ولكن آدم عليه السلام كان محفوفاً بالعناية لما أكل من الشجرة أنزل إلى الأرض للخلافة. أما الانسان العادي إذا أكل من شجرة النهي أخرج من جنة الموافقة وأنزل إلى أرض القطيعة فيشقى القلب ولكن لا تشقى النفس لأن وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس من ملذذاتها وشهواتها وانهماكها في غفلاتها. وهنا نجد ابن عطاء الله قد استخدم القلب كعضو يصيبه أثر الفعل متأخراً ومترامكاً بعد زوال الحدث، أما النفس فعبرت عن الشعور اللحظي الآني من أثر الفعل.

المثال الثاني: بني إسرائيل لما دخلوا التيه ورزقوا المن والسلوى واختار لهم الله تعالى رزقا رزقهم إياه، من غير تعب منهم ولا نصب. فرجعت نفوسهم إلى طلب ما كانوا يعتادونه.

"وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ^ط قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ^ه اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ^ط وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ^ط ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ^ط ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ" البقرة (61)

لأنهم تركوا ما اختار الله لهم ما يليق لما اختاروه لأنفسهم،

فقيل لهم على سبيل التوبيخ، أتعبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. أي أتعبدلون مرادكم لأنفسكم بمراد الله لكم. اهبطوا مصرا فإن ما أنتم اشتهيتموه لا يليق أن يكون إلا في الأمصار، أي اهبطوا عن سماء التفويض وحسن الإختيار والتدبير إلى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لأنفسكم مع تدبير الله. وهكذا كان دأب بني إسرائيل مع موسى عليه السلام، كلما إختار لهم الله إختياراً، إختاروا هم لأنفسهم، ولذلك قال لهم موسى عليه السلام "إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ" الأعراف 138.

المثال الثالث: كان هلاك ابن نوح عليه السلام لأجل رجوعه إلى تدبير نفسه وعدم رضاه بتدبير الله الذي إختاره لنوح عليه السلام ومن كان معه في السفينة. فقال له نوح عليه السلام

" وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوْحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرُقِينَ (43) " هود 42، 43.

ثم يستطرد ابن عطاء الله فيفسر الآية بقوله أوى في المعنى إلى جبل عقله، ثم كان الجبل الذي اعتصم به صورة ذلك المعنى القائم به، فكان كما قال الله وحال بينهما الموج فكان من المغرقين في الظاهر بالطوفان وفي الباطن بالحرمان. ثم يختم ابن عطاء الله هذا الجزء بالتحذير من الرجوع إلى جبل العقل فيكون الشخص من المغرقين في بحر القطيعة، وينادي بالرجوع إلى سفينة الإعتصام بالله والتوكل عليه، فإذا فعل الشخص ذلك استوتت به سفينة النجاة

على جودي الأمن ثم يهبط بسلام القربه وبركات الوصلة عليه وعلى أمم ممن معه. وهنا يؤكد إين عطاء الله على أهمية إسقاط التدبير والإختيار للوصول إلى حالة السلام والسكينة النفسية المرجوة.

ونختتم هذا الجزء بأنواع التدبير كما فصلها إين عطاء الله في كتاب التتوير. فقد قسم التدبير على قسمين : تدبير محمود ، وتدبير مذموم .

فالتدبير المذموم : هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شيء ، كالتدبير في تحصيل معصية ، أو في حظ بوجود عقل ، أو طاعة بوجود رياء وسمعة ، ونحو هذا ، فهذا كله مذموم لأنه إما موجب عقابا ، وإما موجب حجابا . والتدبير المحمود: هو ما كان تدبيرا لما يُقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، كالتدبير في براءة الذمة من حقوق المخلوقين، إما وفاء وإما إستحلالا، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين ، والفكرة فيما يؤدي إلى قمع الهوى المُردى والشيطان المغوي ، فهذا كله محمود لا شك فيه، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة" (الراوي أبوهريرة، المحدث الفارائني الحنبلي، الحكم: إسناده واه بل موضوع).

والتدبير للدنيا على قسمين : تدبير الدنيا للدنيا ، وتدبير الدنيا للأخرة .

فتدبير الدنيا للدنيا: هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا واستكثارا لها ، وكلما زيد فيها شيء ازداد غفلة واغترارا ، فأمارة ذلك أن تشغله عن الموافقة وتؤديه إلى المخالفة .

وتدبير الدنيا للأخرة : كمن يدبر المتاجر ليأكل منها حلالاً ، أو لينعم على ذوي الفاقة أفضلًا ، وليصون بها وجهه عن الناس إجمالاً ، فأمارة ذلك عدم الإستكثار والإدخار ، والإسعاف والإيثار ، فقد تبين من هذا أنه ليس كل طالب للدنيا مذمومًا ، بل مذموم من طلبها لنفسه لا لربه ، ولدنياه لا لأخرته ، فالناس إذا على قسمين : عبدٌ طلب الدنيا للدنيا ، وعبدٌ طلب الدنيا للأخرة .

فصل: مراحل النمو النفسي (مقامات اليقين)

وبعد أن عدد لنا ابن عطاء الله الأسباب ، وذكر طرق الوصول إلى حالة السلام والتسليم النفسي (الأطمئنان) ، وهو ما يمكن تسميته "مسيرة الإيمان" ، حيث أنها أقرب إلى التعامل مع "الإدراك" المتجاوز للحواس كما سماها الدكتور يحيى الرخاوي (9).

وإستكمالاً لتلك المسيرة ، ننقل معاً عين عطاء الله إلى مراحل النمو النفسي أو ما أسماها "مقامات اليقين" (7 - التتوير ص 8-9) . ومن أجل الوصول إلى اليقين في الله تعالى ومعرفة حق المعرفة ، لا بد من المرور عبر مراحل مختلفة ومقامات متعددة ، مركزها القلب والفؤاد واللب ، ومدارها الشريعة الإسلامية ، وعمادها ، صحة الاعتقاد والتصديق الكامل والإيمان بالله عز وجل وعبادته والتحقق بعبوديته . والهدف من وراء سلوك طريق الإيمان والتدرج فيه وهو تحقيق هدف أسمى وغاية مثلى ، هي الوصول إلى معرفة الحق تبارك وتعالى حق المعرفة ، والقرب منه والاستئناس به .

والنظرة الأولى لأختياره لتعبير مقامات اليقين تجعلنا ندرك أنه نظر إلى النمو على أنه عملية متعاقبة ، ومتدرجة ، وتصاعدية من الأدنى إلى الأرقى نحو الهدف النهائي وهو اليقين ، وهو لغويا العلم الذي لا شك معه ، وهو إطمئنان النفس إلى حكم مع الإعتقاد بصحته عن نظر واستدلال ، كما

هو بالمعجم الوسيط (8)
www.almaany.com/home.php?language -04-28.29

(2013)، أما في التصوف فهو أعلى مستويات الإستقرار النفسي، وهو أعلى مراتب المعرفة، حيث تتوحد ذات العارف مع موضوع المعرفة، بمعنى فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً (8)

www.almaany.com/home.php?language -04-28.29

(2013). وعندما نحل كلمة المقام التي إختارها بدلا عن كلمة مرحلة أو حالة، نجد أن المقام لغويا هو المجلس، أو موقع الإقامة وزمانها

www.almaany.com/home.php?language -04-28.29

(2013)، أما الحالة فهي كما عرفها إين القيم في كتابه مدارج السالكين على أنها إشارة لأمعة عن بعد، إذا وصلنا إليها صارت حاله، أما إذا ثبتنا عندها واستقرت بنا الإقامة فيها تصبح مقام. إذا الهدف من النمو عند إين عطاء الله ليس هو المرور بتلك الحالة فنكون شيئا عابرا، ولكن السكون والإستقرار حتى تصبح مكونا أساسيا للشخص، وعندما يصبح مستعدا، يتحرك إلى المقامة التالية، وهكذا نواليك حتى النهاية المرجوه. ويقدم لنا إين عطاء الله مستويات النمو التصاعدي على أنها تسعة مقامات. ونكر تعريفها وأسباب إرتباطها باسقاط التدبير، ولا يصح كل واحدة من هذه المقامات إلا باسقاط التدبير مع الله، ولم يحدد لنا إين عطاء الله فترة عمرية لتحقيق هذا النمو وهو ما يجعلنا نفكر أنه نمو متصل باتصال الحياة، يبدأ بالتوبة، وهي الندم والإقلاع والعزم على ألا يعاود الإنسان ما أفترفه

www.almaany.com/home.php?language -04-28.29

(2013). وهذه الأمور لا توجب إلا على البالغ العاقل، مما يجعلنا نستنتج أن النمو النفسي من أي عمر بعد البلوغ عندما تتوفر النية والإرادة

والدافعية، حيث يبدأ النمو بالتوبة حتى يصل إلى منتهاه وهو المقام الأخير وهي المحبة، وهي إسم مشتق من حبّ، وهو يعني لغويا "أنه صار قريبا" في المعجم الغني، أما المعجم المعاصر فيصف حب الشيء على أنه "عظمه وخضع له" حبا في المحبوب من أجله لا من أجل المحب. وذلك مقام كان له أن يكون قمة المقامات لأن فيه من النمو واليقين بالقرب من المحبوب بل والتفاني والخضوع لحيه لا لمكسب أو خوف منه. وإذا وصل الشخص إلى ذلك المقام، لا مجال للشك أنه لن يود أن يتحرك قيد أنملة عنه، فإذا كان حب الشخص لشخص يولد في نفس المحب رغبة في خلود لانهائيلتك اللحظات، فما بالنا بحب خالق الحب.

المقام الأول: التوبة: ويقول ابن عطاء أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه، كذا يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه، لأن التدبير والإختيار من كبائر القلوب والأسرار. والتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى من كل ما لا يرضاه والتدبير لا يرضاه لأنه شرك بالربوبية وكفر لنعمة العقل. ثم يستطرد وكيف يصح توبة عبد مهموم بتدبير دنياه، غافل عن حسن رعاية ربه.

ويضيف ابن عطاء الله في "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس(10): فإن أردت التوبة فينبغي لك أن لا تخلو من التفكير طول عمرك، فتفكر فيما صنعت في نهارك، فإن وجدت طاعة فاشكر الله عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك، واستغفر الله وتب إليه، فإنه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك".

يقول الله تعالى " **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** النساء (110). وهذا بيان للمخرج من الذنب بعد وقوعه، والسوء مايسوء، أي ما يترتب عليه الغم والكدر وفسر

بالذنب مطلقاً، لأن عاقبته تسوء ولو عند الجزاء وهذه الآيات تشير إلى كل نوع من أنواع الذنوب التي ارتكبت. ويقول ابن عطاء الله في حكمه "رب معصية أورثت ذلاً وإنكساراً، خير من طاعة أورثت عزا وإستكباراً" والمراد النذل والإنكسار لله عز وجل - الذي يورث صاحبه العزة والرفعة مع غيره، والآية ترغيب في التوبة (تفسير المنار، جزء 5، صفحة 326، الموسوعة الإلكترونية الشاملة)(11).

المقام الثاني: الزهد: ويقسم الزهد إلى نوعين، زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي. أما الظاهر الجلي فهو الزهد في فضول الحلال من المكولات والملبوسات وغير ذلك. والزهد الخفي هو الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله. إن زهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصل إليه بفطرته السليمة في وسط الجاهلية هو أعلى درجات الزهد. ويقول ابن عطاء الله في حكمه "للزاهد في الدنيا علامتان: علامة في فقدها "أي أسباب الشهوات" وعلامة في وجودها، فالعلامة التي في وجودها الإنصراف عنها، والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها، فالإثارة شكر لنعمة الوجدان، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان".

المقام الثالث: الصبر: الصابر من صبر عما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله التدبير معه. والصبر على أقسام، صبر عن المحرمات وصبر عن الواجبات وصبر عن التدبيرات والإختيارات.

المقام الرابع: الشكر: ويستشهد ابن عطاء الله بقول الجنيد في تعريف الشكر على أن لاتعصي الله بنعمة. ولولا نعمة العقل، الذي

ينظر إلى العواقب، والذي إكتمل به الإنسان لكان مثل الجمادات والحيوانات، التي لاتدبر لغياب العقل. فوجب على الإنسان الا يستخدم نعمة العقل في التدبير مع خالق العقل.

المقام الخامس: الخوف: عندما يتوجه الخوف إلى القلب، يمنع العقل أن يفكر في التدبير. ويقول ابن عطاء الله في إحدى حكمه لا يُخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.. ولأن الخوف من خصائص الإنسان "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20)" المعارج، فهو سبب لتوبة الإنسان، وسبب لانطلاق الإنسان إلى الله عز وجل، والخوف كالدواء (وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِهِ شَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157) (سورة البقرة).

وبما أن مرض الغفلة قد يكون من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان، فلا بدّ من شيء يوقظه، لا بدّ من شيء يحمله على الصحوّة، إنه الخوف الذي يتولد عن شبح مصيبة، حتى يستيقظ ويفيق الإنسان من سكرة الهوى، ولننظر إلى حكمة ابن عطاء الله السكندري حينما يقول: ربما منعك فأعطاك، وربما أعطاك فمنعك. وحينما تكشف لك الحكمة في المنع يصبح المنع عين العطاء، يعني ربما كانت المعاناة من الخوف والفقر باعثاً إلى طاعة الله، إلى الإقبال على الدين، إلى الإقبال على العمل الصالح، فحينما يكشف الله الغطاء يذوب المؤمن الذي ابتلاه في الدنيا من شدة محبته لله على ما ساق له من شدائد.

المقام السادس: الرضا: يقول أن الرضا هو سكون القلب إلى اختيار الله للعبد أنه اختار له الأفضل فيرضى به. أما الراضي قد إكتفى بسابق تدبير الله فيه، فكيف يكون مدبراً معه وهو قد رضي بتدبيره. ثم يستطرد قائلاً، ألم تعلم أن نور الرضا يغسل من القلوب غناء التدبير، فالراضي عن الله بسطه نور الرضا لأحكامه فليس له تدبير مع الله ويكفيه حسن اختيار ربه له. ثم يقول يتعلق اسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا أكثر من سائر المقامات.

المقام السابع: الرجاء: إذا امتلأ قلب الرائي فرحاً بالله، يصبح وقته مشغولاً بمعاملة الله تعالى، ولا وقت للتدبير مع الله. والرجاء هو تمني الشيء والأخذ بأسباب تحقيقه، فهو لا يقف عند حد الأمنية ولكن يتخطاها للعمل.

"أَمْ مَنْ هُوَ قَائِمٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ" الزُّمَر: 9. يقول ابن عطاء الله السكندري إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك، أي انظر إلى ما يعطيك إياه ربك وكيف يعاملك الله، وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد مامتك إليه، فالمسألة مسألة توازن تستوجب من الشخص مراقبة أعماله، فإذا وجد بها تقصير خاف الله وعاد إليه، وإذا وجد في نفسه الخوف تذكر رحمة الله، وهنا يصف إبن عطاء الله الطريق إلى الله، بان يتفكر الإنسان في حالته الروحية، مما يساعد على دفع الشخص إلى أن يتخذ العبادة بشكل جدي، فيقوم بثورة على النفس الأمارة بالسوء، ليرتقي بها إلى المطمئنة.

المقام الثامن: التوكل: إن المتوكل على الله من ألقى قياده إليه واعتمد في كل أموره عليه. ومن لوازم ذلك عدم التدبير والإستسلام لجريان المقادير.

المقام التاسع (قمة المقامات) المحبة: المحب مستغرق في حب محبوبه وترك الإرادة معه هي عين مطلوبه ولا يتسع وقت المحب للتدبير مع الله لأنه قد شغله عن ذلك حبه لله. ثم يستطرد فيقول، قال بعضهم من ذاق شيئاً من خالص محبة الله، ألهاه ذلك عما سواه (التتوير في إسقاط التدبير).

ثم يزيد في كتاب: لطائف المنن الحب في الله يوجب الحب من الله:

الحب لله هو أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، والحب في الله أن تحب فيه من والآه، والحب بالله أن يحب العبد من أحبه وما أحبه منقطعا عن نفسه وهواه، والحب من الله هو أن يأخذك من كل شيء، فلا تحب إلا إياه.

ويزيد ابن عطاء الله فيضيف: وهنا مراتب أربع: الحب لله، والحب في الله، والحب بالله، والحب من الله، فالحب لله ابتداء، والحب من الله انتهاء، والحب في الله وبالله واسطة بينهما. والحب لله أن تؤثره ولا تؤثر عليه سواه، والحب في الله أن تحب فيه من وآله.

وقد توقف الفكر الصوفي مطولاً عند موضوع المحبة، أو الحب المقدس وهو لذات الله، والمحبة في تعريفهم هي: (سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام). وللحب درجات لدى الصوفية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية بقولها:

(أحبك حبيبن: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذلك).

مراجع الباب الثاني

(1) Sigmund Freud, 15 vols. The Pelican Freud Library, gen. eds. Angela Richards and Albert Dickson, trans. ed. James Strachey, (Harmondsworth, Middlesex: Penguin Books, 1973-86).

(2) C. G. Jung, The Structure and Dynamics of the Psyche, trans. R. F. C. Hull, 2nd ed., vol. 8 of The Collected Works of C. G. Jung, , 20 vols., ed. William McGuire (London: Routledge & Kegan Paul, 1969).

(3) Adler A. The Individual Psychology of Alfred Adler. H. L. Ansbacher and R. R. Ansbacher (Eds.). New York: Harper Torchbooks, 1964

(4) David G. Winter, "Introduction" to Otto Rank, the Don Juan Legend, trans. David G. Winter (Princeton: Princeton University Press, 1975).

(5) Erik H. Erikson, Identity: Youth and Crisis (New York: W. W. Norton & Company, 1968).

(6) Aron Beck

(7) ابن عطاء الله السكندري. التنوير في اسقاط التدبير. مخطوط

بمكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات) رقم 1229256137/5

، 1300 هجرية، المملكة العربية السعودية

(8) www.almaany.com/home.php?language

2013-04-28.29

(9) بروفيسور يحيى الرخاوي، نشرة الإنسان والتطور - السنة السادسة، العدد 2060-2061-21-22/04/2013).

(10) ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس. . الناشر دار جوامع الكلم_ 17 شارع الشيخ صالح الجعفري - الدراسة - القاهرة - لا يوجد سنة للنشر.

(11) (تفسير المنار، جزء 5، صفحة 326، الموسوعة الإلكترونية الشاملة).

الباب الثالث: أمراض الغفلة والصوى

”كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته“

إبن عطاء الله السكندري (الحكم العطائية)

فصل: الأمراض والأعراض

جعل إبن عطاء الله ما يصيب الإنسان من الهم والكدر وعدم إشراق القلب بأنه ناتج من أمراض الغفلة والهوى. ففي هذه الحكمة من كتابه الحكم العطائية، جعل إبن عطاء الله الشهوات مصورة ومنطبعة في القلب فصارت مكونا أساسيا منع القلب من الإتجاه إلى الله عز وجل. وأصابته صاحبها بالغفلة فانشغل بصور الأكوان عن مكون الأكوان. ثم يكمل فيقول إبن عطاء الله في الفقرة الثالثة من الحكمة ”أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟“إن المشكلة هي الغفلة عن الله الذي بيده الخلق و الأمر كلهونتك معصية.

ثم يضيف إلى ذلك أنواع أخرى من المعاصي وبيان أعراضها وهي مقتبسة من (كتاب تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس ص. 9-10) مثل نقض العهد، وتحليل عقد الوُد ، والإيثار على المولى والطاعة للهوى وخلع جلباب الحياء والمبارزة لله بما لا

يرضى، مع ما في ذلك من الآثار الظاهرة من ظهور الكدورة في الأعضاء والجمود في العين والكسل في الخدمة وترك الحفظ للحرمة وظهور كسب الشهوات وذهاب بهجة الطاعات وأما الآثار الباطنة : فهي القسوة في القلب ، ومعاندة النفس وضيق الصدر بالشهوات وفقدان حلاوة الطاعات وتوالي المعاصي المانعة من بروق شوارق الأنوار ، واستيلاء دولة الهوى إلى غير ذلك من ترادف الارتباب ونسيان المآب وطول الحساب.

و يسهب إبن عطاء الله في كتاب التنوير في إسقاط التدبير مسميا تلك الأمراض وشارحا أعراضها، وقد تكلم عن أمراض ستة: أولاً خوف الفقر، ثانياً خوف الخلق، ثالثاً شره النفس والنهم، رابعاً هم الرزق، خامساً الشح والبخل، وأخيراً الفتنة. وبذلك يكون إبن عطاء الله أول من قدم تقسيماً واضحاً لأمراض النفس وأعراضها وإن اختلفت مسمياتها عن التقسيمات الحديثة ولكن تلتقي معظمها في كثير من الأعراض وهو ما يستدعي دراسة منفصلة في المستقبل إن شاء الله.

ولنتناول مقاله إبن عطاء الله في هذا المقام في كتابه (التنوير في إسقاط التدبير-صفحة ص 79-59)

أولاً: خوف الفقر

جعل إبن عطاء الله خوف الفقر أشد أمراض الغفلة خطراً واستشهد بالقول "من سكن خوف الفقر قلبه قل ما يرفع له عمل" على أنه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكني لم أجد له توثيقاً أو أصولاً مما يجعلنا إعتبراره على أنه قول مأثور. وقد جعل إبن عطاء الله من أعراض خوف الفقر الإِدْخار hoarding. وقسمه إلى ثلاثة أقسام: إِدْخار الظالمين -

وإدخار المقتصدين - وإدخار السابقين - متبعا بذلك قول الله تعالى " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " فاطر (32) .

إدخار الظالمين: هم المدخرون بخلا واسنكتارا، الممسكون مباحة وإفتخارا، فهؤلاء استحكمت الغفلة على قلوبهم واستولى الشره على نفوسهم، فهم لا تفرغ من الدنيا نهمتهم ولا تتوجه إلى غيرها همتهم. الثابت فقرهم وإن كانوا أغنياء، الظاهر ذلهم وإن كانوا أجراء، فهم من الدنيا لا يشبعون وعن طلبها لا يفترون، تلاعبت بهم الأسباب وتفرقت بهم الأرباب، أولئك هم الغافلون الذين لم يبق في قلوبهم متسع لوعي الحكمة واستماع الموعظة، فقل أن ترفع أعمالهم أو تترك أحوالهم لأن خوف الفقر قد سكن قلوبهم. ويتعامل ابن عطاء الله مع هؤلاء نفس تعامله مع أصحاب المرض العضوي، فأوصي ابن عطاء الله كل من يرى هؤلاء أن يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا، بل ويجب على الشخص وأحرى به أن يشكر الله إذ عافاه من أسباب الدنيا والخوض فيها وابتلى بذلك غيره.

إدخار المقتصدين: وهم الذين لم يدخروا استنكتارا ولا مباحة ولا افتخارا، إنما علموا من نفوسهم الإضطراب عند الفقر، فعلموا أنهم إن لم يدخروا تشوش عليهم إيمانهم وتزلزل إيقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلمنا منهم بعجزهم عن مقام اليقين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "المؤمن القوي خير عند الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير" (الراوي: أبو هريرة، المحدث: مسلم، الحكم: صحيح).

فالمؤمن القوي هو الذي أشرق في قلبه نور اليقين فعلم أن الله تعالى سائق إليه رزقه ادخر أو لم يدخر وأنه إن لم يدخر إدخر له الحق تعالى وأن المدخرين محالون على مدخراتهم وأهل التوكل محالون على الله لا على شئ دونه، فالمؤمن القوي لم يستند إلى الأسباب سواء كان فيها أولم يكن، والمؤمن الضعيف الداخل في الأسباب مع المراكنة والخارج عنها مع التطلع إليها.

إدخار السابقين: وهم الذين سبقوا إلى الله لتتخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم العوائق ولم تشغلهم عن الله العلائق، فسبقوا إلى الله لتتخلص قلوبهم مما سواه، وجعل هؤلاء الذين فهموا قول الله سبحانه وتعالى "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (89) الشعراء، وإن القلب السليم هو الذي لا تعلق له بشئ دون الله تعالى وقوله سبحانه وتعالى "وَأَقَدَّ جِئْتُمْنَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (الأنعام 94)، يفهم منه أيضا أنه لا يصح مجيئك إلى الله تعالى بالوصول إليه إلا إذا كنت فردا مما سواه، وقوله تعالى "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى" الضحى (6)، يفهم منه أنه لا يأويك إليه إلا إذا كنت فردا مما سواه. وجعل هؤلاء إن إدخروا لم يكونوا على مادخروه معتمدين لأنهم توكلوا على الله فكان هو المدخر لهم. ثم رد على إدخار النبي عليه الصلاة والسلام أنه إمساك بالأمانه مختار له وقتا يصلح إنفاقه، أو ليبين جواز الإدخار لأمته وفيه توسعة على أمته ورحمة بهم وإشفاقا على الضعفاء، لأنه كان عليه السلام في أغلب أحواله عدم الإدخار.

ثانيا: خوف الخلق

يستدل ابن عطاء الله بقول شيخه أبو الحسن أن أكثر ما حجب الخلق عن الله تعالى شيآن هم الرزق وخوف الخلق. فكلما عظمت

هيبة الله عز وجل في صدور الأولياء، لم يهابوا معه غيره؛ حياء منه عز وجل أن يخافوا معه سواه. وذكر بعضهم أن علامة خوف الإنسان من اللهان يؤمنه خوفه من كل خوف غير خوف ربه تبارك وتعالى. فالذي يخاف الله يتحرر قلبه من الخوف من كل ما سوى الله. ولن يخاف الإنسان غير الله إلا لمرض في قلبه، وقد شكى رجل إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقالوا صححت لم تخف أحدا، أي خوفك سببه زوال الصحة من قلبك. " **لَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ** **إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** " آل عمران (175). لهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن معه لم ترهبهم تهديدات قريش بعد انتهاء غزوة أحد، فقد كتب علماء السيرة أن أبا سفيان وجموع قريش أرادوا أن يدخلوا الرعب والخوف في قلوب المسلمين، فقالوا لركب من عبد القيس مروا بهم فيطريقهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إذا وافيتهم فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه؛ لنستأصل بقتيهم. فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وفي صحيح البخاري عن ابن عباس أنه قال " **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** " قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا " **إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ** **إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** " آل عمران (173).

ثالثا: نهم النفس والطمع

يقول ابن عطاء الله (التتوير ص 63-65): من حرره الله من رق الطمع وأعزه بوجود الورع فقد أجزل عليه منته وكمل عليه نعمته. ثم ينبه إلا أن الله قد كسا المؤمن خلعا عديدة منها خلعة

الإيمان والمعرفة والطاعة والسنه فلا يجب أن تدنس بالطمع في المخلوقين والأستناد إلى غير رب العالمين. ثم يحكي عن شيخه أبا العباس المرسي قوله "كنت في ابتداء أمري بئغر الأسكندرية جئت إلى بعض من يعرفني فاشترت منه حاجة بنصف درهم، ثم قلت في نفسي لعله لا يأخذني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين" ثم يقول وسمعتة يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين.

ثم يحكي ابن عطاء الله عن الشيخ أبو الحسن قوله "أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أياس من نفع غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والأكسير الذي من حصل له حصل له غنى لا فاقه فيه وعز لا ذل معه وانفاق لا نفاق له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى" ثم يردف: حكى الشيخ أبو الحسن قائلا "صحبني انسان وكان ثقيلًا علي فبسطته فانبسط، فقلت له يا ولدي ما حاجتك ولم صحبتني؟ قال ياسيدي قيل لي أنك تعلم الكيمياء فصحبك لأتعلم منك، فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن اخالك أن لا تقبل فقال بل أقبل، فقلت له نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين: أعداء وأحباء، فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشكونني بشوكة لم يردني الله بها، فقطعت نظري عنهم، ثم تعلق بالأحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعونني بشئ لم يردني الله به، فقطعت أياسي منهم وتعلقت بالله تعالى فقيل لي أنك لن تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى لاتشك فينا وتياس من غيرنا أن يعطيك غير ما قسمناه لك، وقال مرة أخرى لما سئل عن

الكيمياء فقال أخرج الطمع من قلبك واقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك، وليس يدل على شعار العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وإنما يدل على نوره غناه بربه وانحباسه إليه بقلبه وتحززه من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكو الأحوال. ثم يضيف أن حسن الأعمال بالفهم عن الله وهو الأغتناء بالله والإكتفاء به والإعتماد عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه، والتطهر من الطمع في الخلق. ثم يحكي قصة عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قدم البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون القصص فأقامهم، حتى جاء إلى الحسن البصري فقال يافتى إني سألتك عن شيء فإنجبت عنه أبقيتك وإلا أقمته كما أقمته أصحابك، وكان قد رأى عليه سمًا وهديا فقال الحسن سل عما شئت فقال له علي رضي الله عنه ماملاك الدين؟ قال الورع، قال وما فساد الدين؟ قال الطمع، قال اجلس فمئلك من يتكلم على الناس.

رابعاً: همُّ الرزق

يستدل ابن عطاء الله بقول شيخه أبو الحسن الشاذلي أن أكثر ما حجب الخلق عن الله شيان: هم الرزق وخوف الخلق، وهم الرزق أشد الحجابين وذلك أن أكثر الناس قد يخلو من هم خوف الخلق ولا يخلو من هم الرزق إلا القليل لا سيما أن شاهد الفاقة قائم بوجود الشخص وهو مفتقر إلى ما يقيم بنيته ويشد قوته (ص 63).

ثم يستطرد في مكان آخر من الكتاب (ص 66) مبرهنًا على أهمية عدم حمل هم الرزق، سئل علي رضي الله عنه لو أن إنسانًا أدخل بيتًا وأوصد عليه ذلك البيت من أين يأتيه رزقه، فقال يأتيه رزقه من حيث يأتيه أجله.

ثم يستطرد في نفس الصفحة بتعريف الشيخ أبو الحسن لهم الرزق أنه التفكير والتدبير في تحصيل الرزق، فالتفكر أن يستحضر الشخص في نفسه أنه لا بد له من غذاء يقيم بنيته، والتدبير هو أن يحدد جهة الكسب فيقول هو من وجه كذا أو كذا، ويكثر من ذلك ويتردد على القلب حتى لا يدري إن كان مصليا ماذا صلى أو تاليا ماذا تلى، فتتكرر عليه الطاعة ويحرم أنوارها. ثم يوصي بالخروج من مأزق هم الرزق باليقين بالله والعلم أن الله قد تولى تدبيره من قبل أن يكون. ثم يكمل قائلا: إن اردت نصح نفسك فلا تدبر لها فإن التدبير منك لها اضرار بها، اذ ذاك مما يوجب إحالتك عليك ويمنع امداد اللطف أن يصل اليك والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لأنه القائل "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" الروم (47) .

خامسا: الشح والبخل

يدلل على الشح والبخل بقول الشيخ أبو الحسن أنهما ينشآن عن ضعف اليقين وعدم الثقة فحينئذ يكون الشح ويقع البخل وقد نم الله تعالى الشح والبخل كليهما في كتابه العزيز فقال تعالى "وَمَنْ يُوقِشْ نَفْسَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" التغابن (16) ، لمفهومه أن صاحب الشح لا فلاح له أي لا نور له، والفلاح هو النور. وقال تعالى في وصف المنافقين "أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَوَّارٍ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَسِنَّةٍ حِدَادٍ أُشِحَّتْ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَبَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا" الأحزاب (19) وقال تعالى " وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّ مِنْ فَضْلِهِ لَنْصَدِّقَنَّ وَلَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (75) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا

وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) التوبة، وقال تعالى هَآأَنْتُمْ هَؤَآَاءُ تُدْعَوْنَ لِتُتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَأَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " محمد (38).

يقسم ابن عطاء الله البخل والشح إلى أقسام ثلاثة:

الأول: أن تبخل بما في يدك أن تبدله في واجبات الله تعالى. وهو أن تبخل فلا توتي الزكاة وقد خطبت بها، أو لا تقوم بحق وقد تعين عليك من نفقات الأبوين في فقرهما والأولاد في فقرهم وصغرهم وكنفقات الزوجات، وبالجملة فكل حق أوجب الله عليك القيام به فتخلفت عنه مما يطلق عليه لسان الذا و تستحق عليه العقوبة، وفي ذلك جاء قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34). والكنز من المال هو الذي لا تؤدى زكاته.

الثاني: أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب على عباد الله. كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيئاً بعد ذلك، وهذا وإن كان قد فعل ما أمره الله به من إخراج ما وجب عليه فينبغي أن لا يقتصر عليه فان الاقتصار على الواجبات وترك النوافل إنما هو حال الضعفاء فلا ينبغي للمؤمن المعتني باصلاح شأنه مع الله أن يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه.

الثالث: أن تبخل بنفسك أن تبدلها لله تعالى. فالإيثار بالنفس هو أفضل الوجوه. فان السخاء بالنفس والبذل بها هو من أخلاق

الصديقين وشأن أهل اليقين الذين عرفوا الله فبدلوا له نفوسهم، وإذا كان الإيثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها هو أقبح الوجوه (ص 66-68).

سادساً: الفتنة

وهي الإحساس بالأسى لفقد شيء **grief**، وسماها فتنة لأن في فقد اختبار إيمان المؤمن وفي فقد يظهر أحوال الرجال (ص 69). يدل على ذلك من القرآن والسنة بقول الله تعالى **لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** " الحديد (23)، (وقول النبي عليه السلام لما توفى ولد لاحدى بناته اعلم ان الله ما أخذ وله ما أعطى ومن أسف على فقد شيء دون الله تعالى فقد نادى على نفسه بوجود الجهل وثبات القطيعة، ولم أجد توثيقاً لهذا الحديث، ولكني وجدت "من أسف على دنيا فاتته إقترب من النار مسيرة ألف سنة" الراوي عبد الله بن عمر، والمحدث السيوطي، والحكم: ضعيف)، إذ لو وجد الله لم يفقد شيئاً دونه فمن وجد الله فلا يجد شيئاً دونه حتى يكون له فاقد. ثم يحكى قصة عن رجل له ابنة عم مسماة عليه من الصغر، فلما كبر جرى ما منع زواجه إياها، ثم تزوجت بزوج غيره فجاء إليه بعض أهل الفهم وقال له يصح لك أن تعتذر إلى هذا الزوج الذي تزوج ابنة عمك إذ كنت أنت المتطلع لزواجه، إذ هي زوجته في الأزل. ثم يذكر قول الله تعالى " **وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** " الحج (11). فقد زم الله تعالى من يسكن للأشياء في حين وجدها، فقد اطمأن بالخير الذي أصابه ولو فهم لما اطمأن بشيء دون الله تعالى، ولكانت طمأنينته بالله وحده، وكذلك من يحزن عليها عند فقدها، لقوله تعالى وإن أصابته فتنة والفتنة فقد ذلك المشتهى الذي كان إليه ساكناً. وانقلب على وجهه أي دهش

عقله وذهلت نفسه وغفل قلبه، وما ذلك إلا لعدم معرفته بالله تعالى، فلو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود واستغنى به عن كل مفقود ومن فقد الله لم يجد شيئاً ومن وجده لم يفقد شيئاً (ص 68). ثم يختم بتقسيم شيخه أبو العباس الناس في هذا المقام إلى قسمين، الأول: عبد الحال بالحال وهو من يفرح بالحال إذا وجدها ويحزن عليها إذا فقدها. والثاني: عبد الحال بالمحول فذلك عبد الله لا عبد الحال، وهو الذي لا يأسى عليها إذا فقدها ولا يفرح إذا وجدها.

المراجع

1. ابن عطاء الله السكندري. التتوير في اسقاط التدبير. مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود (قسم المخطوطات) رقم 1229256137/5 ، المملكة العربية السعودية، تاريخ النسخ سنة 970 هجرية.
2. ابن عطاء الله السكندري. تاج العروس الحاي لتهذيب النفوس. الناشر دار جوامع الكلم_ 17 شارع الشيخ صالح الجعفري- الدراسة- القاهرة- لا يوجد سنة للنشر.

فصل: العلاج النفسي لأمراض الغفلة والهوى

أفرد ابن عطاء الله كتاباً كاملاً لأهم وسيلة في علاج إنكسار النفس وتجبير الروح وهي ذكر الله تعالى، فكان كتابه " مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتح" (صورة الغلاف، من مخطوطات المكتبة الرقمية، جامعة أم القرى) وهي وسيلة يجب أن تصاحب كل تذكرة من تذاكر العلاج المذكورة في صفحاتنا القادمة. وقد جمع ابن عطاء الله في هذا الكتاب ما يقترب العبد به من ربه، ويزيل الهموم من قلبه، ويرفع عند الله درجته، والذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الله سبحانه وتعالى، وذلك بترديد اسم الله بالقلب واللسان، وسواء كان بقراءة أو ذكر أو شعر أو محاضرة أو غير ذلك. فالمتكلم ذاكراً، والمتفكر في عظمة الله وجلال جبروته وأياته في أرضه وسماواته ذاكراً،

والمتمثل ما أمر الله والمنتهى عما نهى الله عنه ذاكراً. والذكر قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان، وقد يكون بأعضاء الإنسان، وقد يكون بإعلان الجهاد، والجامع لذلك كله ذاكراً كامل. ومن الذكر ما هو مطلق، وما هو مقيد بزمان ومكان. فالمقيد كالذكر في الصلاة وعقبها والحج وقبل النوم وبعد اليقظة وقبل الأكل وعند ركوب الدابة، وطرقي النهار والليل وغير ذلك. والمطلق ما لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا وقت ولا حال. فمنه ما هو ثناء على الله كما في كل واحدة من هذه الكلمات وهي: (سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). ومنه ما ذكر فيه دعاء مثل: (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)، والكتاب يشرح كل ذلك في سهولة ويسر.

ولما كانت حكم ابن عطاء الله السكندري من أنفع ما يتوصل به الشخص إلى معرفة طريق السلام النفسي الموصلة إلى رب العرش العظيم مع اختصار عباراتها الرائقة اللطيفة، فإني أوصي بجعل كتاب الدكتور محمد عمر سالم هو مفتاح من مفاتيح العلاج وطريق الوصول إلى مراتب الكمال النفسي أو ما يسميه الصوفية حالة الإطمئنان. وحكم ابن عطاء الله مقسمة إلى ثلاثة محاور، الأول منها محور التوحيد، والثاني محور الأخلاق، والثالث محور السلوك وعلاج النفس من أمراضها، والمحور الأخير هو ما يهمننا في هذا المقام وهو ما تناوله الدكتور محمد عمر سالم في كتابه "الإيمان مفتاح السعادة النفسية".

ونزيد على طرق العلاج المذكورة في الحكم العطائية بعض مما ذكره ابن عطاء الله في كتاب تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، وقد قمت بالإختصار ووضعتها في نقاط كخطوات علاج، قدر الإمكان حتى تتحقق الفائدة، وهنا أقدم خمسين تذكرة علاجية لأمراض الغفلة والهوى، أهم هذه

الوصفات هي الأولى والثانية وهما واجبتان النفاذ قبل بدأ العمل بباقي
الوصفات:

1. ويبدأ ابن عطاء الله تذكراً للعلاج الأولى بالتوبة عن الذنوب لأن
الذنب إذا وقع وقع معه ظلمة ، فمثال المعصية كالنار والظلمة دُخانها ،
فالقلب يسود بالمعصية فلا يطهر إلا بالتوبة إلى الله ، فصار الذل والظلمة
والحجاب مقارناً للمعصية ، فإذا تاب المذنب إلى الله زالت آثار الذنوب.
ثم يؤكد ابن عطاء الله على أهمية التوبة المبكرة short duration
لماذا؟ يعطي لنا مثالا أن الشخص الذي يفعل المعصية كالقدر الجديد توفد
تحتها النار ساعة فتسود، فإن بادر إلى غسلها انغسلت من ذلك السواد وإن
تركها وإستخدمها مرة بعد أخرى ثبت الفساد فيها حتى تكسر ولا يفيد
غسلها شيئاً، وكذلك التوبة المبكرة هي التي تفيد في غسل سواد القلوب، ثم
يعود ويؤكد على عدم اليأس لأن المريض يرجو الحياة مادامت فيه
روح. فإن تفضل ربك عليك بالتوبة فتبت إليه فمن تفضله سبحانه وتعالى ،
وإنك تُذنبُ سبعين سنة فتتوب إليه في نفس واحد ، فيمحو ما عملته في
تلك المدة . " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " فالمؤمن كلما ذكر ذنبه
حزن ، وكلما ذكر طاعته فرح . قال لقمان الحكيم: المؤمن له قلبان ، يرجو
بأحدهما ويخاف بالآخر: يرجو قبول عمله ويخاف ألا يُقبل منه ، ولو
وُزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا (ص. 4-8) .

2. أربعة تعينك على جلاء قلبك : كثرة الذكر ولزوم الصمت والخلوة
وقلة المطعم والمشرب (ص 34). يرى ابن عطاء الله أن التفسير الباطن
لآية القرآن الكريم "وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمِيثَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًا
فَمَنْهُ يَأْكُلُونَ" يس (33)، أن القلوب الميته بالغفلة، يحييها الله بالتيقظ
والإعتبار والموعظة، فيخرج منها الحب الصافي الذي تضيئ أنواره على
الظاهر والباطن.

3. لا يدخل عليك الإهمال إلا بإهمالك عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم والمتابعة له عليه الصلاة والسلام على قسمين : جليلة ، وخفية فالجليلة : كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وغير ذلك . والخفية : أن تعتقد الجمع في صلاتك والتدبر في قراءتك ، فإذا فعلت الطاعة كالصلاة والقراءة ولم تجد فيها جمعا ولا تدبرا فاعلم أن بك مرضا باطنا من كِبَرٍ أو عَجْبٍ أو غير ذلك.يقول تعالى " سَأَصْرَفُ عَنْ ءِيبَتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ " الأعراف (146)، فيكون مثالك كالمحموم الذي يجد في فمه السكر مرًا . فالمعصية مع الذل والإفتقار خير من الطاعة مع العز والإستكبار .قال الله تعالى في إخباره عن ابراهيم الخليل " فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي " ابراهيم (36)، فمفهوم هذا أن من لم يتبعه ليس منه وقال تعالى حكاية عن نوح " إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي " هود (45)، فأجابه سبحانه وتعالى " قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ " هود (46)، فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وقد جمع الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وسلم ، فتابعه بالقناعة بما رزقك الله تعالى ، والزهد والنقل من الدنيا وترك ما لا يعني من قول وفعل ، فمن فُتِحَ له باب المتابعة فذلك دليلٌ على محبة الله له. قال تعالى " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " آل عمران (31) فإذا طلبت الخير كله فقل : اللهم إني أسألك المتابعة لرسولك صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأفعال (ص-5) .

4. ومن أردا العلاج فعليه بعدم الظلم لعباد الله في أعراضهم وأنسابهم فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضا لانطلقوا إلى الله ولكنهم معوقون كمن

أثقلته الديون - فتكون معوقا بسبب من يطلبه. فإذا فعلت فالتوبة هي التي تغسل سواد القلب لتظهر الأعمال وعليها راحة القبول ، فاطلب من الله تعالى التوبة دائما فإن ظفرت بها فقد طاب وقتك ، لأنها موهبة من الله تعالى يضعها حيث شاء من عباده، فإن ظفرت بها فقد أحبك الله لقوله تعالى " إن الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " البقرة (222)، إنما يغتبط بالشيء من يعرف قدره ولو بدرت الياقوت بين الدواب لكان الشعير أحب إليهم ، فانظر من أي الفريقين أنت ؟ فإن تبت فأنت من المحبوبين ، وإن لم تتب فأنت من الظالمين ، قال تعالى : " وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " الحجرات (11) . ومن تاب ظفر ، ومن لم يتب خسر . ولا تقطع بأسك وتقول: كم أتوب وأنقض، فالمريض يرجو الحياة ما دامت فيه الروح .

5. أضر ما يُخاف عليك محقرات الذنوب ، لأن الكبائر ربما استعظمتها فُتبت منها ، واستحقرت الصغائر فلم تتب منها . فمثلك كمن وجد أسدا فخلصه الله منه ، فوجد بعده خمسين ذئبا فغلبوه . قال الله تعالى " وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ " النور (15) والكبيرة حقيرة في كرم الله ، وإذا السُم يقتل مع صغره . والصغيرة كالشرارة من النار ، والشرارة قد تحرق بلدة (ص.12).

6. كما تمرغت في مواطن المعصية ، فتمرغ في محبة الله عز وجل ، فهذه الحقيقة تُبين طريقك ولكن من أماتته الغفلة لم ترُده النكبات، لأن المرأة الناقصة العقل يموت ولدها وهي تضحك ، فكذلك أنت عندما تصيبك نكبة عدم قيام الليل وعدم صيام النهار ولا تتألم!! وذلك لأن الغفلة قد أماتت قلبك ، لأن الحي يؤلمه نقر الإبرة ، ولو قُطع الميت بالسيف لم يتألم، فأنت حينئذ ميت القلب ، فاجلس مجلس الحكمة ففيه نفحة من نفحات الجنة (ص 13).

7. اعلم: إياك والمعصية فقد تكون سببا لتوقف الرزق فاطلب من الله التوبة فإن قُبِلت وإلا فاستغث بالله وقل: " رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " (الأعراف (23) ولا تكن كمن أتى عليه أربعون سنة ولم يقرع باب الله قط . وأكثر ما يخاف عليك سوء الخاتمة والعباد بالله تعالى ، بسبب إطفاء جمرة الإيمان بسواد العصيان وهي الذنب حتى يسود القلب من غير توبة (ص 12).

8. إذا قيل لك : من المؤمن ؟ فقل : الذي اطلع على عيب نفسه ولم ينسب أحدا من العباد إلى عيب ، وإذا قيل لك : من المخذول ؟ فقل : الذي ينسب العباد إلى العيب ويبريء نفسه منه (ص 13).

ومما تمادى عليه أهل الزمان : مُبَاسِطَتُهُمْ وَمُؤَانِسَتُهُمْ لِلْعَاصِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ عَبَسُوا فِي وُجُوهِهِمْ لَكَانَ ذَلِكَ زَجْرًا لَهُمْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ (ص 14) .

9. لو فُتِحَ لَكَ باب الكمال لما رجعت إلى الرذائل ، أُرِيتَ من فُتِحَ له باب القصور هل يرجع إلى المزابل؟! ولو فتح لك باب الأُنس بينك وبينه ما طلبت من تأنس به . لو أختارك لربوبيته ما قطعك عنه . لو كرمت عليه ما رماك لغيره (ص 14).

10. وإذا عزل عنك محبة مخلوق فافرح فهذا من عنايته بك ، ولا تكون معصية إلا والذل معها ، أفتعصيه ويُعزك؟! كلا ! فقد ربط العز مع الطاعة ، والذل مع المعصية فصارت طاعته نورا وعزا وكشف حجاب ، وضدها معصية وظلمة وذل وحجاب بينك وبينه ، ولكن ما منعك من الشهود إلا عدم وقوفك مع الحدود ، واشتغالك بهذا الوجود (ص 14).

11. إذا عصى ولدك فأدبه بالشرع ، ولا تقطعه ، بل قابله بالعُبُوسة ليكف عن المعصية . وأكثر ما يدخل على المؤمن الدخل - العيب والريبة - إذا كان عاصيا ، فإما أن يفضحوه وإما أن يستهزئوا به ، فإذا فعلو ذلك

فقد أخطؤوا الطريق . إذا عصى المؤمن فقد وقع في ورطة عظيمة ، وطريقه أن تفعل معه كما فعلت مع ولدك إذا عصى ، تُعرض عنه في الظاهر وتكون راحما له في الباطن ، وتطلب له الدعاء بالغييب (ص 15).

12. كفى بك جهلا أن تحسد أهل الدنيا على ما أعطوا ، وتشغل قلبك بما عندهم ، فتكون أجهل منهم ، لأنهم اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت أنت بما لم تُعط . فقد ترمد عينك فتعالجها ، وما سبب ذلك إلا أنك دُقت بها لذة الدنيا ، فتعالجها حتى لا يفوتك النظر إلى مستحسناتها ، وترمد بصيرتك أربعين سنة فلا تعالجها؟! والله ما عُمرَك من اول وُلدت بل عُمرَك من اول يوم عرفت الله تعالى (ص 15) .

13. شتان بين أهل السعادة وأهل الشقاوة : فأهل السعادة إذا رأوا إنسانا على معصية الله أنكروا عليه الظاهر ، ودعوا له في الباطن. وأهل الشقاوة يُنكرون عليه تشفيا فيه، فالمؤمن من كان ناصحا لأخيه في الخلوة ، ساترا له في الجلوة. وأهل الشقاوة بالعكس : إذا رأوا إنسانا على معصية أغلقوا عليه الباب وفضحوه فيها ، فهؤلاء لا تُتور بصائرهم ، وهم عند الله مبعدون (ص 16).

14. إذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر إليه إذا ذكرت له شخصا : فإن وجدته يطوف على محمل سوء حتى يقول لك: خلنا منه ذلك فعل كذا وكذا ! فأعلم أن باطنه خراب وليس فيه معرفة ، وإذا رأيته يذكره بخير ، أو يذكر له ما يوصف بالذم ويحملة على محمل حسن ويقول : لعله سها أو له عذر أو ما أشبه ذلك فأعلم أن باطنه معمور فإن المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه المسلم (ص 16).

15. من قارب فراغ عُمره ويريد أن يستدرك ما فاتّه ، فليذكر

بالأذكار الجامعة ، فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا كقوله : سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه ومداد كلماته . وكذلك من فاته الصيام والقيام ، أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أحسن العيش إذا أطعت الله فيه بذكر الله تعالى أو الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . يُروى أنه ما من صيد يُصاد ، ولا شجرة تُقطع إلا بغفلتها عن ذكر الله تعالى ، لأن السارق لا يسرق بيتا وأهله أيقاظ بل على غفلة أو النوم (ص 17).

16. من علم قُرب رحيله أسرع في تحصيل الزاد ، ومن علم أن إحسان غيره لا ينفعه جد في الإحسان ، ومن أخرج ولم يحسب خسر ولم يدر ، ومن وكل وكيفا واطلع على خيانتة عزله . كذلك نفسك قد اطلعت على خيانتها فاعزلها وضيق عليها المسالك (ص 17) .

17. إذا رأيت فيك الإعراض والشهوة والغفلة فهذا وصفك ، وإذا رأيت فيك الإجابة والخشية والزهد فهذا من صنع الله (ص 17).
18. مثال الإيمان معك إذا عصيت الله تعالى كالشمس المكسوفة ، أو كالسراج إذا غطيته بصفحة ، هو موجود ولكن منع نوره الغطاء . ثم إنك تحضر المجلس في الجامع ليتوفر عقلك ، وإن كان عمرك قليلا فيصير كثيرا بحصول الإيمان والخشوع والخضوع ، والخشية والتدبر والتذكر ونحوها. فلو عرفت الإيمان ما قاربت العصيان، فلا غريم أمطل من النفس ولا عدو أعظم من الشيطان ولا معارض أقوى من الهوى (ص 18).

ولا يدفع المدد الهابط مثل الكبر ، لأن الغيث لا يقر إلا على الأرض المنخفضة لا فوق رؤوس الجبال ، فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة وتنزل إلى قلوب المتواضعين. والمراد بالمتكبرين : من يردُّ

الحق، لا من يكون ثوبه حسنا ، ولكن الكبر بطر الحق ، أي دفعه واحتقار الناس. ولا تعتقد أن الكبر لا يكون إلا في وزير أو صاحب دنيا ، بل قد يكون فيمن لا يملك عشاء ليلة ، وهو يُفسد ولا يُصلح لأنه تكبر على حق الله تعالى . ولا تعتقد أن المنكوب من كان في الأسر أو في السجن بل المنكوب من عصى الله وأدخل في هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية . فكثيراً من أنفق الدنانير والدراهم ولكن من أنفق الدمع قليل (ص 18).

19. **الأحمق** من مات ولده وجعل يبكي عليه ولا يبكي على ما فاته من الله عز وجل ، فكأنه يقول بلسان حاله : أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي ، بل كان ينبغي له الفرح بذلك ، ويقبل على مولاه لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه . وقبيحٌ بك أن تشيب وأنت صغير العقل، ولا تفهم مراد الله منك ! فإن كنت عاقلاً فابك على نفسك قبل أن يُبكي عليك، فإن الولد والزوجة والخادم والصديق لا يبكون عليك إذا مُت، بل يبكون على ما فاتهم منك، فسابقهم أنت بالبكاء وقل: يحقُّ لي أن أبكي على فوات حظي من ربي قبل أن تبكوا علي (ص 19).

20. كفى بك جهلاً أن يعاملك مولاك بالوفاء ، وأنت تعامله بالجفاء. فمن حمل هم الدنيا وترك هم الآخرة كان كمن جاءه أسد يفتنسه ثم قرصه برغوث ، فاشتغل به عن الأسد، فإن من غفل عن الله اشتغل بالحقير، ومن لم يغفل عنه لم يشتغل إلا به. فأحسنُ أحوالك فما أقيح طلب الدنيا لمن يُظهر الزهد فيها (ص 19).

21. ليس الرجل من يُربيك لفظه، إنما الرجل من يُربيك لحظه. فمن الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه أنه قال: إذا كانت السلحفاة تُربي أفرأخها بالنظر كذلك الشيخ يربي مريده بالنظر، لأن السلحفاة تبيض في

البر، وتتوجه إلى جانب النهر ، وتنتظر إلى بيضها، فيريبيهم الله لها بنظرها إليهم (ص 20).

22. إياك أن تخرج من هذه الدار وما دُفَّت حلاوة حبه. ليس حلاوة حبه في المآكل والمشارب، لأنه يشاركك فيها الكافر والدابة، بل شارك الملائكة في حلاوة الذكر ، والجمع على الله تعالى ، لأن الأرواح لا تحتمل رشاش النفوس ، فإذا انغمست في حيفة الدنيا لا تصلح للمحاضرة ، لأن حضرة الله تعالى لا يدخلها المتلطفون بنجاسة المعصية . فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب ، وتب إلى الله وارجع إليه بالإجابة والذكر ومن أدام قرع الباب يُفتح له ، لأنه كما قالت رابعة العدوية: ومتى أغلق هذا الباب حتى يُفتح ؟!. ولكن هذا باب يوصلك إلى قربه. وإياك وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى، فإن أول درجات الذاكرين استحضار وحدانيته تعالى. وما ذكره الذاكرون، وفتح عليهم إلا باستحضار ذلك، وما طردوا إلا بذكرهم مغلبة الذهول عليهم . وتستعين على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج (20-21).

23. ما أكثر توددك للخلق، وما أقل توددك للحق! لو فُتح لك باب التودد مع الله لرأيت العجائب: ركعتان في جوف الليل: تودد. الصدقة على المساكين: تودد. عيادتك للمرضى: تودد. صلاتك على الجنائز تودد، إعانتك لأخيك المسلم: تودد. إمطنتك الأذى عن الطرق: تودد. ولكن السيف المطروح يحتاج إلى ساعد، ولا عبادة أنفع لك من الذكر، لأنه يُمكن للشيخ الكبير والمريض الذي لا يستطيع القيام والركوع والسجود أن يقوم به.

كم فيك من الكوامن فإذا أوردت عليها الواردات أظهرتها ، وأعظمها ذنبا: الشك في الله ، والشك في الرزق شك في الرزاق . قم أنت بما يلزمك من وظائف العبودية، وهو يقوم بما التزمه. أيرزق الحشرات!

وينسى أن يرزقك؟! قال الله تعالى " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى طه (132) .

كان المتقدمون من السلف رضي الله عنهم يسألون الشخص عن حاله ليستثيروا منه الشكر، والناس اليوم ينبغي ألا يسألوا فإنك إن سألت تستثير منهم الشكوى.

عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي أنه قال: بقيت مرة في البادية ثلاثة أيام لم يُفتح لي بشيء ، فجاز علي بعض النصارى فرأوني متكئا فقالوا: هذا قسيس من المسلمين، فوضعوا عند رأسي شيئا من الطعام وانصرفوا، فقلت : يا للعجب ! كيف رزقت على أيدي الأعداء ، ولم أرزق على أيدي الأحباء ؟! فقيل : ليس الرجل من يُرزق على أيدي الأعداء ، إنما الرجل من يُرزق من أيدي الأعداء. فإذا رأيت من يصبح مهموما لأجل الرزق فاعلم أنه بعيد من الله، فإن أحب ما يُطاع الله به: الثقة به (ص 21-24).

24. قدر لك الصحة والمرض والغنى والفقر، والفرح والحزن، حتى تعرفه بأوصافه .

من صحبك يوما أو يومين ، ولم ير منك نفعا تركك وصحب غيرك، وأنت تصحب نفسك أربعين سنة ولم تر منها نفعا فقل لها ارجعي يا نفس إلى رضا ربك ! طالما وافقتك في شهواتك ، فتبدلي بعد البطالة بالإشغال بالله، وبعد الكلام بالصمت، وبعد الوقوف بالأبواب: الجلوس بالخلوة، وبعد الأُنس بالملوقين: الأُنس بالخالق وبعد قُرْناء السوء: مُعاشرة أهل الخير والصلاح (ص 27).

25. اجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه: اجعل بدل السهر في معصية الله، السهر في طاعة الله، وبعد الإقبال على أهل الدنيا: الإعراض عنهم

والإقبال على الله، وبعد الإصغاء لكلامهم: الإصغاء والإستماع لكلام الله عز وجل وذكره، وبعد الأكل بالشره والشهوة: الأكل القليل الذي يُعينك على الطاعة.

قال الله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ" العنكبوت(69). إنما عصي الله من لم يعرف ثوابه. فلو أطلعوا على عذاب الله لما غفلوا، ولو اطلعوا على ما أعد الله لأهل الجنة لما تركوها طرفة عين (ص 28)

26. إذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك إليها، وإذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك إلى الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " (الراوي أبوهريرة، المحدث: البغوي، المصدر: شرح السنة، الحكم: حسن غريب). كما تختار لنفسك المآكل الطيبة التي لا ضرر فيها، والزوجة الحسنة لتتزوجها فكذلك تُودد إلى من يُعرفك الطرق إلى الله سبحانه وتعالى ، واعلم أن لك ثلاثة أخلاء:

أحدهما : المال، تفقده عند الموت.

والثاني: العيال، يتركونك عند القبر.

والثالث: عملك، لا يُفارقك أبداً.

فاصحب من يدخل معك قبرك وتأنس به ، فالعاقل من عقل عن الله أو امره ونواهيهِ (ص 28).

27. إنما تأكل لتعيش ولا تعيش لتأكل ، فإن فعلت ذلك فمثالك في الدواب كثير، فإن فعلت ذلك فإن أسبق الخيل ما ضُمر. تقول: هذه الليلة أُقلل الأكل فإذا حضر الطعام فكأنه حبيبٌ مفارق، ومن لم يُرد الله صلاحه تعبت فيه الأقاويل.

ما أهربك من الهوان، وما أوقعك فيه ! تهين نفسك وتُلقيها في مواطن الردى

قال بعضهم : كُنْ مع الله كالطفل مع أمه، كلما دفعته أمه ألقى بنفسه عليها لا يعرف غيرها .

يا عبد الله ، تنتخب لنفسك الطيبات، بل تنتخب لدابتك العلف، وتعامل الله بالمجازفة!! وربما قلبت عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لدهليز مرحاض، وتقعّد عند الأكل متربعا وربما طولت في الأكل، وإذا جئت إلى الصلاة نقرتها نقر الديك، والوساوس والخواطر تأتيك في صلاتك.

إذا أعطيت نفسك كل ما تشتهي وتطلبُ من الشهوات كنت كمن في بيته حيث يُسمنها كل يوم حتى تقتله! ولو جعل الله فيك الروح من غير نفس لأطعت وما عصيت، ولو جعل فيك النفس من غير رُوح لعصيت وما أطعت - فلذلك تتلون - ولكن جعل فيك القلب والروح والنفس والهوى كالحلّة جعل فيها اللسع والعسل: فالعسل بیره، واللسع بقهره، فأراد الله أن يكسر دعوى النفس بوجود القلب ودعوى القلب بوجود النفس ص 28-30)

28. قيمتك قيمة ما أنت مشغول به ، فإن اشتغلت بالدنيا فلا قيمة لك ، لأن الدنيا كالجيفة لا قيمة لها .

أفضل ما يطلب العبد من الله أن يكون مستقيما معه . قال الله تعالى : "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" الفاتحة (6). فاطلب منه الهداية والإستقامة وهو أن تكون مع الله في كل حال بالذي يرضاه لك ، وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى (ص 29).

29. همة الزاهدين في كثرة الأعمال ، وهمة العارفين في تصحيح الأحوال. فإذا أثقل عليك أمران فانظر أيهما أثقل على النفس، فإنه لا يتقل عليها إلا ما كان حقا.

30. إن من الله عليك بثلاث فقد من عليك بالنعمة الكبرى: الأولى الوقوف على حدوده، والثانية الوفاء بعهوده، والثالثة الغرق في شهوده - أن تلاحظ الحق سبحانه حتى كأنك تراه نصب عينك (ص 35).

31. مثال القلب إذا أسلمته إلى النفس كمن تعلق بغريق فغرق كل واحد منهما، ومثال النفس إذا أسلمتها للقلب كمن أسلم نفسه إلى عوام قوي فسلمها، فلا تكن كمن أسلم قلبه إلى نفسه! هل رأيت بصيرا قلد نفسه إلى أعمى يقوده (ص 37)؟!

32. إن أمكنك أن تُصبح وتُمسي وما ظلمت أحدا من العباد فأنت سعيد، فإن لم تظلم نفسك فيما بينك وبين الله، فقد تكلمت لك السعادة، فأغلق عينيك وسد أذنك وإياك وإياك وظلم العباد (ص 37).

33. إن أردت أن تُتصر فكن كك ذلة، قال الله تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" "ال عمران (123). إن أردت أن تُعطى فكن كك فقرا: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" التوبة (60)، (ص 38).

34. إذا ضعفت عن العبادة فكمل عبادتك بالبكاء والتضرع (ص 39).

35. وإذا قيل لك :ما يبكيك ؟ فقل : عبدٌ عُفي فأنفق عافيته في معصية الله !! ينبغي لك أن تنام على طهارة وتوبة، فيفتح قلبك بنوره. ولكن من كان في نهاره لاغيا، كان في ليله عن الله ساهيا (ص 39).

36. من علامات الغفلة وصغر العقل: أن تعول هما هل يقع أم لا، وتترك أن تعول هما لا بد من وقوعه، وتصبح وتقول: كيف يكون سعر البضاعات غدا، وكيف يكون الحال في هذه السنة، وألطف الله تأتي من حيث لا تعلم والشك في الرزق شك في الرزق، وما سرق السارق وما غضب الغاضب إلا وقد رزقه الله، فما دمت حيا لا ينقص من رزقك شيء (ص 40).

37. كفى بك جهلا أن تعول الهم الصغير، وتترك الهم الكبير. عل هم: هل تموت مسلما أو كافرا ؟ عل هم: هل أنت شقي أم سعيد ؟ عل

هم: النار الموصوفة بالأبدية التي لا إنتهاء لها! علّ هم أخذ الكتاب باليمين أو بالشمال، هذا هو الهم الذي يُعال، لا تعل هم اللقمة تأكلها أو شربة تشربها. أستخدمك الملك ولا يُطعمك؟! أنتكون في دار الضيافة وتضيع؟! (ص 40).

38. كفى بك جهلاً أن تغار على زوجتك ولا تغار على إيمانك! كفى بك خيانة أن تغار عليها لأجل نفسك، ولا تغار على قلبك لأجل ربك، إذا كنت تحفظ ما هو لك ألا تحفظ ما هو لربك (ص 41)؟!

39. قال الشاعر:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنيهار
ولا تشرب بأفداح صغار فقد ضاق الزمانُ على الصغار

فمعناه عند مدمني الكحوليات: إذا مضت العشرون من شعبان فقد قرب رمضان يقطع علينا الشراب. ومعناه عند أهل الايمان: إذا خلفت أربعين سنة وراء

فواصل العمل الصالح بالليل والنهار، لأن وقتك قد قرب إلى لقاء الله عز وجل، فليس عملك كعمل من كان شاباً ولم يضيع شبابه ونشاطه، وأنت قد ضيعت شبابك ونشاطك.

هب أنك تريد الجد ولكن لا تساعدك القوى، فأعمل على قدر حالك وكمل الباقي بالذكر فإنه لا شيء أسهل منه، يُمكنك في حال القيام والقعود والإضطجاع والمرض، فهذا أسهل العبادات وهي كما في الحديث الشريف: "جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما يا رسول الله أيُّ الناس خير؟ قال من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمُرني بأمرٍ أتشبَّثُ به فقال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله عزَّ وجلَّ" (الراوي: عبد الله بن بسر،

المحدث: ابن مفلح، المصدر: الاداب الشرعية، الحكم إسناده جيد).
 وأي دعاء أو ذكر سهل عليك فواظب عليه، فإن مدده من الله عز وجل،
 فما ذكرته إلا ببره، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره، فاعمل واجتهد
 فالغفلة في العمل خير من الغفلة عنه (ص 41-42).

40. إن طلبت أن تعصيه فاطلب مكانا لا يراك أحد، واطلب قوة من
 غير أن تعصيه بها، ولن تستطيع شيئا من ذلك لأن الكل من نعمه، أتأخذ
 نعمه وتعصيه بها؟! بل تفننت في المخالفات، مرة بالغيبة ومرة بالنميمة
 ومرة بالنظر وما بنيته في سبعين سنة تهدمه في نفس واحد (ص 42). يا
 هادم الطاعات ... ما سلط الله عليك الفاقة إلا لترفع حالتك إليه، ولتجمع
 عليه، فيا من يُغرق نفسه بالشهوات والمعاصي، ليتك أعطيتها ذلك في
 المباحات، فمن عاملته بالدنايا وعاملك باليمن كيف لا تحبه؟ من عاملك
 بالكرم وعاملته باللؤم كيف لا تحبه (ص 43)؟!

41. لو انقطعت عن الخلق لفتح الله لك باب الأُنس به تعالى، لأن
 أولياء الله قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة، فسمعوا من الله وأنسوا به، فإن
 أردت أن تستخرج مرآة قلبك من الأكدار فافرض ما رفضوا - وهو
 الأُنسُ بالخلق - وانس ما جرى لفلان واتفق لفلان؟ ولا تقعد على أبواب
 الحارات فمن استعد استمد، فإذا هيا لك الإستعداد فتح لك باب الإستمداد،
 ومن أحسن قرع الباب فُتح له، فرب طالب أساء قرع الباب فُرد لسوء
 أدبه ولم يُفتح له (ص 43).

42. أكثر ما أوتي العباد قلة الصمت. فلو تقربت إلى الله لسمعت
 مخاطبته على الدوام، في سوقك وفي بيتك، ولكن من استيقظ شهيد، ومن
 نام لم تسمع أذنا قلبه، ولم تشهد بصيرته، ولكن الحجاب مُرخى، ولو أن
 العباد فطنوا لم يُقبلوا إلا على الله، ولم يجلسوا إلا بين يديه، ولم يستفتوا

غيره، لقوله صلى الله عليه وسلم " استفتتفسك وإن أفئتوك وأفئتوك وأفئتوك " الراوي: وابضة بن معبد الأسدي، المحدث الألباني، الحكم صحيح.

لأن الخواطر الإلهامية تأتي من الله تعالى فهيموافقة، وربما أخطأ المفتي والقلب لا يقبل الخطأ، وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة، وإنما يُستفتى عالم، ولا علم لمن غفل عن الله تعالى (ص 44).

43. ربما قضى عليك بالذنب ليُخرج منك الكبر والعُجب فقد رُوي: رُب ذنب أدخل صاحبه الجنة. يُصلي الرجل ركعتين فيعتمد عليهما، ويركن إليهما ويُعجب بهما، فهذه حسنة أحاطت بها سيئات، وآخر يفعل المعصية فتكسبه الذلة والانتكسار وتُدِيم المسكنة والإفتقار، فهذه سيئة أحاطت بها حسنات (ص 49).

44. من أراد أن ينظر إلى أمثلة القلوب فليُنظر إلى الديار: فدار عامرة مأهولة ودار قد خربت حتى بقيت مبولة للبولين، وقلب كالمكان العامرة، وقلب كالمكان الخراب لا تطهر حتى تُعامل الله، فتصدق كل يوم ولو بربع درهم أو بلقمة، حتى يكتبك الله في ديوان المتصدقين، واتل من القرآن كل يوم ولو آية، حتى يكتبك الله في ديوان التالين، وصل في الليل ولو ركعتين، حتى يكتبك الله مع القائمين. وإياك تغلظ وتقول: من عنده قوت يوم بيوم كيف يتصدق؟ قال الله تعالى: " لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدّر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ". فمثال المسكين إذا تصدق عليه كالمطية تحمل زادك إلى الآخرة. فمن أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات (ص 50).

45. عليك بالحوالة - حول أمورك كلها إلى الله وأطلبها منه وحده. وإقطع رجاءك من الخلق، ووجه رجاءك إلى الملك الحق، وانظر: ماذا

عملت؟ وماذا عمل معك من اول نشأتك؟ ما صنع معك إلا جوادا وإحسانا، وانظر ماذا صنعت معه فلا ترى إلا جفاء وعصيانا. ما أكثر مواليتك للمخلوقين وما أقل مواليتك لله (ص 52-53)!!

46. إن أردت أن تعرف كيف تمر على الصراط فأنظر حالك في الإسراع إلى المساجد ، فيكون جزاء الذي يأتي المسجد قبل الأذان أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف والذي يأتي في أول الوقت يمر عليه كأجاويد الخيل. وها هنا صراط الإستقامة لا يُشهد بالأبصار، ولكن تشهده بالقلوب، قال الله تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (الأنعام (153) ، والإشارة في العربية تكون لشيء موجود، فمن أضاعت له الطريق يتبعها، ومن كانت طريقه مظلمة لم يشهدا فبقى متحيرا، فإن كنت قد أطلقت سمعك وبصرك ولسانك برهة من عمرك ففيد الآن ما أطلقت، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمئة سنة" (الراوي: أبو هريرة، المحدث: صحيح ابن حبان، الحكم: أخرجه في صحيحه). وذلك لأنهم سبقوا في الدنيا بالعبادات، وأنت تترك الجماعة وتصلي وحدك، وإذا صليت نقرتها نقر الديك، وهل يُهدى للملوك إلا ما حسن وأنتخب؟ فما سبق الفقراء إلى الجنة إلا لأنهم سبقوا إلى خدمة المولى في الدنيا، والمراد بالفقراء: الصابرين الذين صبروا على مُرّ الفاقة، حتى إن أحدهم ليفرح بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء، فدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء يدل على صبرهم على الفاقة (ص 53).

47. التقوى هي ترك معصية الله حيث لا يراك أحد. كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شرب الماء قال: "الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته ولم يجعله أجاجا بذنوبنا" (الراوي محمد الباقر، المحدث: الألباني، الحكم:

ضعيف). وهو صلى الله عليه وسلم مقدس عن الذنوب ولكن تواضعا منه وتعلّما وكان يمكنه أن يقول: بذنوبكم، وما أكل الرسول ولا شرب إلا ليعلمنا الأدب وإلا فكان عليه الصلاة والسلام يُطعم ويُسقى، فالعارف يُنكس رأسه إذا شرب وربما تقطر عيناه بالدموع ويقول: هذا تودد من الله تعالى (ص 54-57).

48. من مرض قلبه مُنع أن يلبس التقوى، فلو صح قلبك من مرض الهوى والشهوة تحملت أثقال التقوى، فمن لم يجد حلاوة الطاعة دُل على مرض قلبه من الشهوة، وقد سمي الله تعالى الشهوة مرضا بقوله تعالى: " فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ " الأحراب (32). . ولك في علاجه طريقان: استعمال ما هو نافع وهو الطاعة، واجتناب ما هو لك مُضر وهو المعصية. . فإن فعلت ذنبا وأعقبته بالتوبة والندم والإنكسار والإنابة كان ذلك سبب وصلتك به، وإن فعلت طاعة وأعقبها بالعجب والكبر كان ذلك سبب القطيعة عنه (ص 57).

49. عجا لك كيف تطلب صلاح قلبك، وجوارحك تفعل ما شأنت من المحرمات كالنظر والغيبة والنميمة وغير ذلك؟ فمثالك كمن يتداوى بالسّم أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالسّواد، فعليك بالخلوة والعزلة، فمن كانت العزلة دأبه كان العز له، فمن صدقت عزلته ظفر بمواهب الحق له بالمن، وعلامتها: كشف الغطاء وإحياء القلب وتحقيق المحبة، فعليك بحسن العمل لا بكثرة العمل: فمثال كثرة العمل مع عدم الحُسن فيه كالثياب الوضيعة الثمن، ومثال قلة العمل مع حُسنه كالثياب القليلة الرفيعة الثمن، كالياقوتة: صغيرٌ جرمها غالي ثمنها. فمن أشغل قلبه بالله، وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى كان أفضل ممن يُكثر من الصلاة والصيام (ص 58).

50. أهل الغفلة إذا أصبحوا يتفقون أموالهم ، وأهل الزهد والعبادة يتفقون أحوالهم ، وأهل المعرفة يتفقون قلوبهم مع الله عز وجل(ص34).

المراجع

1. ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس: .
الناشر دار جوامع الكلم- 17 شارع الشيخ صالح الجعفري- الدراسة-
القاهرة- لا يوجد سنة للنشر.
2. محمد عمر سالم، الأيمان مفتاح السعادة النفسية، دار الكتاب الجامعي،
العين، الإمارات العربية المتحدة، 2005.

فصل: التقييم لطرق العلاج

أولى ابن عطاء الله أهمية خاصة لباطن الإنسان أو ما نطلق عليه في العلوم النفسية "الديناميات". فكل منا دينامياته المتفرده، التي لا بد من فهمها لعلاجها من آفات وأمراض الغفلة. فالباطن يتكون من أمنيات وأحلام وهو اجس ومخاوف ودوافع، وصورة الشخص عن نفسه وكذلك صورة الآخرين عنده. والمرض ما هو إلا منتج نهائي من تفاعل تلك الديناميات. وقد جعل ابن عطاء الله الفرد هو مرآة نفسه وطبيبه الخاص، الذي لا بد له أن يتسم بالصدق والأمانة مع ذاته حتى بصارحها بدينامياته، والتي قد تكون مؤلمة أحيانا، ثم يقوم بترتيب تلك الديناميات بما يسمح له بمعاودة تركيبها على النحو الصحيح وبالتالي العلاج الشافي. هذا بالإضافة على وجود شيخ يتربى على يده السالك. ويقدمابن عطاء الله السكندري طرقا لتقييم الشخص لنفسه أو ما أطلق عليه إسم السالك أي الباحث عن العلاج، وذلك بالنظر إلى حاله، فإن وجد منها بعض الأعراض فعليه أن يعيد حساباته من جديد. وهنا أقدم بعض مآذكره من أفعال تستدعي المسآئلة للنفس وإلتماس العلاج من جديد.

1. يقول ابن عطاء الله السكندري: «أصل كل معصية وغفلة وشهوة، الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه؟ فأى علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه»(الحكمة رقم 35).

2. إذا فعل الشخص الطاعة مثل الصلاة بلا تدبير فعليه أن يعلم أن به مرضا باطنا مثل الكبر أو العجب (تاج العروس-ص 5-6). فعن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه قال: فمن أراد أن يعرف حقيقته عند الله، وينظر حاله مع الله، فلينظر إلى صلاته: إما بالسكون والخشوع أو بالغفلة والعجلة، فإن الصلاة مجالسة الله تعالى، فإذا جالسته ولم يحصل لك منه شيء دل ذلك على مرض في قلبك وهو إما كبر، أو عجب أو عدم أدب. قال الله تعالى " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ " الأعراف(146)، فلا ينبغي لمن صلى أن يسرع الخروج بل يذكر الله تعالى ويستغفره من تقصيره فيها، فرب صلاة لا تصلح للقبول فإن استغفرت الله بعدها قبلت. فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا صلى استغفر الله ثلاث مرات.

3. يقول ابن عطاء الله السكندري رحمه الله: «من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا، إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعا فأنت المتكبر» ويقول عقب هذه الحكمة: «ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع»(الحكمة رقم 238، 239)

4. يقول ابن عطاء الله السكندرى «لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك، ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك» (الحكمة رقم 124) فإن الرضا عن النفس وحالها وترك حملها على السير إلى الله أصل كل معصية وغفلة وشهوة، وجهل، وفى المقابل فإن عدم الرضا عن النفس والعمل على حملها للسير إلى الله أصل كل طاعة ويقظة وعفة وعلم. ولا بد للإنسان أن ينظر إلى نفسه بانتقاص ولا يرى فيها فضلا، ولا يرى لها قدرا، ويؤكد على ذلك بقوله فى موضع آخر من حكمه : «تحقق بأوصافك بمدك بأوصافه، تحقق بزلك بمدك بعزه، تحقق بعجزك بمدك بقدرته، تحقق بضعفك بمدك بحوله وقوته» (الحكمة رقم 178).

5. يقول ابن عطاء فى حكمة أخرى من حكمه : «إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يتقل عليها إلا ما كان حقا» (الحكمة رقم 192).

6. يقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه : «لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا، يكفى من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا» ويقول بعد ذلك مباشرة : «إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك» (الحكمة رقم 122، 123).

فعلى السالك دائما أن يلتفت إلى عيوب نفسه، ولا ينشغل بعيوب غيره، وهو فى ذلك يحقق نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الاشتغال بعيوب الآخرين وترك عيوب النفس، حيث قال صلى الله عليه وسلم: «يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِدْعَ فِي عَيْنِهِ» (الراوي أبو هريرة، المحدث الألباني، المصدر صحيح الجامع، الحكم: صحيح). (حكمة رقم 169).

7. يقول ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه؛ حيث يقول : «الناس يمدحونك لما يظنونهم فيك، فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها»، ويقول :

«المؤمن إذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه» ويقول : «أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس» (، الحكمة رقم 192). فإن الإنسان على يقين بتقصير نفسه وعجزها، فإن أدرك غير ذلك فما زال به مرض.

8. قال الشيخ أبو الحسن يقول الله تعالى : " يَوْمَ لَنِنْفَعُ مَالَ وَلَا بَنُونَ" الشعراء(88) والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء غير الله تعالى ، وقوله تعالى : " وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ " الأنعام (94) يفهم منه أنه لا يصلح مجيئك إلى الله ولا الوصول إليه إلا إذا كنت فردا مما سواه ، وقوله تعالى : " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى " الضحى(6) يفهم منه أنه لا يأويك الله إلا إذا صح يُنمك مما سواه ، وقوله صلى الله عليه وسلم : إن الله وتر يحب الوتر (الراوي علي رضي الله عنه، المحدث الترمذي، الحكم:حسن). أي يحب القلب الذي لا يُشفع بمثنيات الآثار ، فكانت هذه القلوب لله وبالله ، إذا أحببت حبيبا لن تصل إليه حتى تكن أهلا للوصول إليه. فإذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة ، ولم تجد لها حلاوة في قلبك ، وتخف عليك المعصية ، وتجد لها حلاوة ، فاعلم أنك لم تصدق في توتبتك ، فإنه لو صح الأصل لصح الفرع (تاج العروس ص 68).

9. مثال الإيمان في القلب كالشجرة الخضراء ، فإذا كثرت عليها المعاصي يبست وفرغ إمدادها فمن أحب القيام بالواجبات فليترك المحرمات ، ومن ترك المكروهات أُعين على تحصيل الخيرات ، ومن ترك المباحات وسع عليه توسعة لا يسعها عقله ، وأباح له حضرته، ومن ترك استماع ما حُرّم عليه أسمعته كلامه . ولكن ما أهون القربة التي فيها

هون نفسك عليك، وما أثقل ما ليس فيه هوى ! مثاله أن تحج تنفلا ، فإن قيل لك : تصدق بذلك شق عليك ، لأن أمر الحج يُرى، فللنفس فيه حظ والصدقة تُطوى وتُنسى.

وكذلك درسك العلم لغير الله ، فإنك تدرس الليل كله ونفسك طيبة بذلك، فإذا قيل لك: صل بالليل ركعتيت شق ذلك عليك ، لأن الركعتين بينك وبين الله تعالى، ليس فيهما للنفس حظ ، والقراءة والدرس للنفس فيهما حظ مشاركة للناس، فلأجل ذلك خف عليهما. من هُئيت له المنازل العليا لا يرضى بالقعود على المزابل، فاعمل الأعمال الصالحات بينك وبين الله سرا ولا تطلع عليها أهلك، واجعله مُدخرا عند الله تجده يوم القيامة فإن النفس لها تمتع بذكر العمل. صام بعضهم أربعين سنة ولم يعلم به أهله (تاج العروس ص 42). وكل فعل عكس ذلك هو يعني بلا شك حالة المرض.

10. اعلم أن كل صلاة لا تنتهي صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تُسمى صلاة لقوله تعالى "اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا تَشَاءُونَ " العنكبوت (45) وأنت تخرج من الصلاة ومن مناجاة الحق سبحانه وتعالى في قوله "إياك نعبد وإياك نستعين " الفاتحة 5، ومناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بقولك " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " وهذا في كل صلاة ثم تخرج إلى الذنوب بعد هذه النعم التي أنعم الله بها عليك؟ عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، أنه كان يحضر عنده فقهاء الإسكندرية والقاضي ، فجأؤوا مرة مختبرين للشيخ ، ففارس فيهم وقال : يا فقهاء يا فقهاء ! هل صليتم قط؟ قالوا: يا شيخ وهل يترك أحدنا الصلاة؟؟ فقال لهم : قال الله تعالى "إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19) إِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَامَسَّهُ الْخَيْرُ مُتَوَعًّا (21) المعارج. فهل أنتم كذلك: إذا مسكم الشر لا تجزعوا وإذا مسكم الخير لا تمنعوا؟ فسكتوا جميعا ، فقال لهم الشيخ : فما صليتم هذه الصلاة قط (تاج العروس ص 45).

11. تفهقه بالضحك كأنك قد جاوزت الصراط المستقيم وعبرت

النيران؟

إذا لم يكن بينك وبين الله ورعٌ يحتجزك عن معاصي الله إذا خلوت، فضع التراب على رأسك فمن لم يكن له ورع يحتجزه عن معاصي الله إذا خلا، لم يعبأ اللهبشيء من عمله .

12. كفى بك جهلا نظرك إلى إساءة صغيرة من غيرك ، وتعاميك

عن كبير إساءتك (تاج العروس ص 49).

13. إذا أردت أن تختبر عقل الرجل فانظر إليه إذا ذكرت له شخصا

فإن وجدته يطوف على محل سوء حتى يقول لك خلنا منه ذاك وفعل كذا وكذا فاعلم أن باطنه خراب وليس له معرفة. وإذا رأيته يذكره بخير ويذكر له ما يوصف بالذم ويحمله على محمل حسن ويقول لعله سها أو له عذر أو ما أشبه ذلك فاعلم أن باطنه معمور، فإن المؤمن يعمل على سلامة عرض أخيه (تاج العروس ص 16).

14. إذا دخلت في الصلاة فإنك تتاجي الله تعالى وتكلم رسول الله

صلى الله عليه وسلم لأنك تقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . ولا يُقال أيها الرجل عند العرب إلا لمن يكون حاضرا.

فركعتان بالليل خير من ألف بالنهار ، وأنت لا تصلي فيه ركعتين إلا

لتجد ذلك في ميزانك ، وهل يُشترى العبد إلا للخدمة؟ هل رأيت عبدا يُشترى ليأكل وينام ؟ وما أنت إلا عبد أشتريت . قال الله تعالى " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَخَبَّاتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ " التوبة (111)، أما إذا كانت ركعتان في جوف الليل أتقل عليك من جبل أحد ، فأعضاء يبست عن الطاعة لا تصلح إلا للقطع ، فإن الشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للنار (تاج العروس ص 59).

15. وهنا نختم بقولته عن العلم: علمٌ فيه غفلة عن الله: الجهل خير منه فمن أثمرت جوارحه فقد أمطر قلبه ولسانه بالذكر ، وعينه بالغمض ، وأذنيه بالإستماع إلى العلم ، ويديه ورجليه بالسعي إلى الخيرات .

وما فائدة العلم إلا بالعمل به ، مثاله كملك كتب إلى نائبه بنجر كتابا فما فائدة الكتاب ؟ أن تقرأه فقط؟ إنما فائدته العمل به .

فمثال من يشتغل بالعلم وليس له بصيرة كمثل مئة ألف أعمى سلكوا طريقا متحيرين فيها ، فلو كان فيهم واحد بعين واحدة لتبعه الناس أجمعون وتركوا مئة ألف أعمى .ومثال العالم مع ترك العمل كالشمعة تُضيء للناس بإحراق نفسها (تاج العروس ص 69- 71).

المراجع

1. ابن عطاء الله السكندري ، الحكم العطائية، مصادر متعدده
2. ابن عطاء الله السكندري، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس: .
الناشر دار جوامع الكلم- 17 شارع الشيخ صالح الجعفري- الدراسة-
القاهرة- لا يوجد سنة للنشر.

خاتمة

هنا أتوقف عن الكلام المباح وغير المباح وأدع الأمر لأبن عطاء الله، لنبحر معه إلى آفاق نفسه الغنية بفقرها إلى الله، والجاهله بعلمها إلى علم الله، والمدركه لصغر حجمها أمام عظمة خالقها.

مناجاة ابن عطاء الله السكندري

(تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس- ص88-90)

إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري.

إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي.
 إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين
 بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء.
 إلهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك.
 إلهي وصفت نفسك باللطف والرفقة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني
 منهما بعد وجود ضعفي.

إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي وإن ظهرت
 المساوي مني فبعذك ولك الحجة علي.

إلهي كيف تكانني إلى نفسي وقد توكلت لي وكيف أضام وأنت الناصر
 لي أم كيف أخيب وأنت الحفي بي ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك، وكيف
 أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك. أم كيف أشكو إليك حالي وهو
 لا يخفي عليك. أم كيف أترجم لك بمقالي وهو منك برز إليك، أم كيف
 تخيب آمالي وهي قد وفدت إليك، أم كيف لا تحسن أحوالي وبك قامت
 إليك.

إلهي ما أطفك بي مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلي.

إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك.

إلهي ما أرفك بي فما الذي يحجبني عنك.

إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن
 أتعرف إليك في كل شئ حتى لا أجهلك في شئ.

إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما آيستني أوصافي
 أطمعنتي منتك.

إلهي من كانت محاسنه مساويء فكيف لا تكون مساويه مساويء،
 ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي.

إلهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركاً لذي مقال مقالاً ولا لذي حال حالاً.

إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقالني منها فضلك.

إلهي أنت تعلم أنه إن لم تدم الطاعة مني فعلاً جزماً فقد دامت محبة وعزماً.

إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لا أعزم وأنت الأمر. إلهي تردي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعي عليك بخدمة توصلني إليك.

إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أكون لغيرك من الظهور ما ليس بك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيباً.

إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شئ قدير.

إلهي ها ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفي عليك، منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك، فاهدني بنورك إليك وأقني بصدق العبودية من يديك.

إلهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون. إلهي حقني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب. إلهي أغني بتدبيرك عن تدبيرتي وباختيارك لي عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري.

إلهي أخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكّي وشركي قبل حلول رمسي، بك أنتصر فأنصرني، وعليك أتوكل فلا تكني، وإياك أسأل فلا تخيبي، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، ولجنابك أنتسب فلا تبعدني، وببابك أقف فلا تطردني.

إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني، أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني.

إلهي إن القضاء والقدر غلبي وإن الهوى بوتائق الشهوة أسرني فكن أنت النصير لي حتى تتصرني وتتصر بي. واغني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك وودوك، وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤوا إلى غيرك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حتى استبانن لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضى دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً.

إلهي كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتتان يا من أذاق أحبابه حلوة مؤانسته فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أوليائه ملابس هيبته فقاموا بعزته مستعزين، أنت الذاكر من قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين، وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين.

إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك واجذبني بمننك حتى أقبل عليك. إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كما أن خوفي لا يزيلني وإن أطعتك.

إلهي قد دفعتني العوالم إليك وقد أوقفني علمي بكرمك عليك.
إلهي كيف أخيب وأنت أمني، أم كيف أهان وعليك متكلي.
إلهي كيف أستعز وأنت في الذلة أركزتني، أم كيف لا أستعز وإليك
نسبتي، أم كيف لا أفقر وأنت الذي في الفقر أقمنتي، أم كيف أفقر وأنت
الذي الذي بجودك أغنيتني، وأنت الذي لا إله غيرك، تعرفت لكل شيء فما
جهلك شيء وأنت الذي تعرفت إلي في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء
فأنت الظاهر لكل شيء.
يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيباً في رحمانيته
كما صارت العوالم غيباً في عرشه محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار
بمحيطات أفلاك الأنوار.
يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى
بكمال بهائه فتحققت عظمته الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر، أم كيف
تغيب وأنت الرقيب الحاضر.

مقالات

مختارات شبكة العلوم النفسية العربية

مقتطفات

أجدني أغوص في بحر
الظلمات حتى تصطم
يدي بمشروع التأويل
للتراث الإسلامي الذي
طرحته الشبكة العربية
للعلوم النفسية. وأجدني
أرد بالقول نعم أود
المشاركة وسوف أكتب
عن ابن عطاء الله
السكندري.

ها أنا أقدم لكم هذا
العمل الذي بفضل الله ثم
مساعدة الأخوة الأفاضل
في شبكة العلوم النفسية
يخرج إلينا النور

إن حظي كدقيق فوق شوك
بعثروه، ثم جاءوا بحفاة يوم
ريح يجههوه، صعب الأمر
عليهم فقالوا أتركوه، إن من
أشقاء ربه، كيف أنتم
تسعدوه، حينها شعرت أن
تلك هي خارطة الطريق
لحياتي الماضية والقادمة

يهدينا الدكتور محمد
عمر سالم كتابه، «الأيمان
مفتاح السعادة النفسية»، وهو
شرح لحكم ابن عطاء الله
السكندري. يستيقظ في
داخله رغبة في البحث عن
هذا الرجل من جديد سرعان
ما تخبو كما خبت من قبل

سأحاول كل جهدي أن أغوص بين السطور للبحث عن لمسات وإشارات ابن عطاء الله، محاولاً إن أمكن إستنتاج ما خلف النصوص مع الحذر في الوقوع في الإستدعاء الإجتراري قدر الإمكان

لكن شعرت أن عملية التأصيل هي بمثابة "قولة التراث" بمعناه البحث عن قالب علمي حديث في صورة نظرية ثم توسيع أو تضيق التراث كي يصبح مناسباً لحجم تلك النظرية، نظراً لمطابقة كل منهما

ثم تدرج ابن عطاء في منازل العلم والمعرفة حتى تنبأ له الشيخ أبو العباس يوماً فقال له: "الزم، فوالله لئن لزمتم لتكونن مفتياً في المذهبين

قررت أن أبحث فقط من أجل العلم دون النظر إلى مدى مطابقته لما هو عربي

أيها الإنسان أما كفاك ربك لو إكتفيت وهداك ربك لو إهتديت. إنه هو الذي خلقك فسواك، وتصدق عليك فأعطاك. أما يمنعك ذلك من منازعته فيما قضى ومعارضته فيما أتى

سوف يكون تركيزي على فرضيات ابن عطاء الله ونظرياته المأخوذة بطبيعة الحال من الفكر الصوفي الإسلامي المنبثق من ثقافتنا الإسلامية التي هي الأساس من القرآن الكريم والسنة الشريفة

أن التسليم لأرادة الله يشيع
و ينعكس على الإنسان
في صورة الطمأنينة
والثبات والأتزان وبقية
الإنسان من عوامل القلق
والخوف والتوتر الذي
يؤدي إلى عدم استقرار
النفس

قال الرَّجَّاجُ : لكل إنسان
نفسان؛ إحداهما : نفس
التمييز، وهى التى تفارقه
إذا نام، فلا يعقل بها،
يتوفاها الله، كما قال الله
تعالى. والأخرى : نفس
الحياة، وإذا زالت زال معها
النفس

قد قسم ابن عطاء الله
النفس إلى ثلاثة أنواع:
النفس المطمئنة، النفس
اللوامة، النفس الأمارة
بالسوء وهو بذلك وقف
عند حدود الثلاثة دون
خوض في أكثر من ذلك

النفس البشريه خلقها الله
فكانت غير راسية، فخلق لها
جبال العقل لتتزن

هكذا النفس منطهرة،
سائلة، فائرة وغازية. فيخلق
الله لها العقل أو اللب فتستقر
وتتوازن. والمقصود بالتوازن
هنا هو الثبات والتوازن
الانفعالي

أن الصوفية جعلوا القلب
مرادفا لمراكز الربط
المخية (association
areas) . وهى المناخق
التى عندما تصاب
بعطب أو مرض ما نرى
الهلاوس أو الأوهام

الصدر بهذا المعنى
 نظير الفص الأمامي للمخ
 (Frontal lobe) في
 العلم الحديث حيث يوجد
 مركز الكلام والحركة والشم
 وزيادة عن ذلك فهو
 يحتوي على المقدمة
 (الفص الجبهي)
 (prefrontal lobe)

تتميز لدى الإنسان
 خريقتان للمعرفة ، خريقة
 الحس والعقل وخريقة القلب
 ، ومن هنا ندرك أن معرفة
 الصدر تكون إما من
 الطريق الأول الحس والعقل
 أو فطرية من القلب أو أن
 تكون منهما معا

الصدر مثل الحوض
 والمعرفة مأوّه ، والماء قد
 يتجمع في الحوض من
 الجداول والقنوات الخارجية ،
 أو قد ينبع إليه من الباطن ،
 الك جانب ذلك

شخصياً أقرأ قول الله تعالى
 ”أليس لهم قلوب يعقلون بها“
 بصورة مختلفة حيث المعنى
 يصبح أليس لهم
 association)
 areas) تفكر وترجم ما
 يرون ويسمعون

الصدر كذلك موضع النفس
 الأمانة بالسوء. فالصدر اذن
 هو ميدان يطرح فيه العقل
 مع الغرائز أو مع الهوى ومن
 هنا فانهم يرون ان الانشراح
 والضيق انما يضافان الى
 الصدر ولا يضافان الى غيره
 من مقامات القلب

أما من ناحية الوظيفة
 الادراكية العلمية للصدر
 فان العلم لا يصل إليه إلا
 بالتعلم والتحفظ والاجتهاد
 والتكلف من جهة السمع
 والخبر. فالصدر اذن علمه او
 ادراكه ادراك عقلي
 كسبي نتيجة تحليل وجهد
 في الحفظ والنظر

وأحد الصوفية أن لهذا القلب عدة خصائص تلتقي كل مجموعة منها بنطاق من نطاقاته فمنها يعبر عن النطاق العاخر في أو الوجداني فالقلب حينئذ معدن التقوى والسكينة والوجل والاختبات اللين والطمأنينة وحب الايمان وزينته

الصوفية يذهبون اليه ان علم العبارة حجة الله على خلقه يقول الله لهم : ماذا عملتم فيما علمتم ؟ أما علم الاشارة فهو محجة العبد الي الله ... بهداية الله تعال على انه من عليه يكشف قلبه بمشاهدة غيبية وروية ما وراء حبه كأنه يرى ذلك كله بعينه حتى لو كشف به الغطاء لما زاد في نفسه

منها ما يعبر عن النطاق الاخلاقي كالخشوع والتمحيص والطهارة ومن هذه الخصائص ما يشير الي النطاق المعرفي في القلب كالامتحان له

بعض الصوفية كان يرى ان كلية القلب وهو المصطلح المقابل لمصطلح يونج النفسي

unconciouness) (collective : وهي موضع الاتصال: بالله وان الانسان لا يرى في الحقيقة سوى أعماق نفسه التي ليست شيئاً سوى سر الربوبية المتصلة بالنفحة الالهية

أن القلب هو منطقة الربط لفهم كل الأحاسيس وهي في النصف الخلفي للمخ، والتي توحي كل الصور والخبرات السابقة للشخص أو النوع البشري ككل

يقول الحارث المحاسبي :
(كل شيء جوهر،
وجوهر الإنسان عقله، وجوهر
العقل توفيق الله

هذا اللب لا يكون الا لاهل
الايمان الذين هم من خاصة
عباد الرحمن الذين أقبلوا
الك خا عنة المولك، وأعرضوا
عن النفس الدنيا فالبسهم
لباس التقوى، وصرف عنهم
انواع البلاء فسامهم الله)
أولج الاباب)

مدح الله اولج الاباب،
وبين مراتبهم وسراثرهم مخ
ربهم وفضلهم في فقههم
وفهمهم وحلمهم حتى
أعجز امثالنا عن ادراك
احوالهم لانه خصهم بنور
اللب ما لم يفعل ذلك
بغيرهم

وظيفة مقام القلب هي
العلم أو المعرفة والرؤية
الآتية من الله تعال، أما
وظيفة الفؤاد فهي الرؤية
المادية الملموسة، وله ارتباط
وثيق بالبصيرة

الفؤاد هو منطقة الإدراك
البصري والسمعي (منطقة
المعانيه)، والتي تحوي كل
الصور والمشاهدات
والسمعيات الآتية وترجمتها
قبل إرسالها إلى منطقة
الربط الكلج (القلب)
لإعطائها مفهوما داخل إخبار
المعرفة الكلية للحديث

الانوار عندهم اربعة، نور
الاسلام ونور الايمان ونور
المعرفة ونور التوحيد ...
وهذا النور الأخير هو النور
الاصل لجميع الانوار ومعدهنه
هو اللب

جعل فرويد "الهو" أساس الشخصية البشرية. وهو الفتحة الأساسية للجسد، ويستمد خاقته من الإحتياج الغريزي الممثل فيه. ونظراً لأنه جزء لاشعوري فلا علاقة له بالواقع ولا يخضع لمنطق التفكير، ولا يتابع العامل الزمني. ويكسر دوافعه الشعور باللذة

آمن فرويد بغريزة الجنس لأنها تسبب كثيراً من الصراعات، وتمر بمراحل حتك تصل إلى النضج. وسمح الطاقة المصاحبة لها "الليبيدو" وجعلها السبب لكثير من الظواهر النفسية

اللب هو منطقة الربط للوظائف المعرفية العليا أو الفص الجبهي وهي ما يميز كل إنسان عن غيره من البشر. وفي العلوم الحديثة يطلق على الفص الجبهي للمخ أنه الإنسان، لأن حجمه ثلث حجم المخ

يا مهموما بنفسه، لو ألقيتها إلك ربك لاسترحمت. ويحك أعباء التدبير لا يحملها إلا الربوبية ولا تفوق عليها البشرية، ويحك أنت محمول فلا تكن حامل

أراد ربك راحتك فلا تكن متعباً لنفسك. من دبرك في ظلمات الأحشاء وأعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغي لك أن تنازعه فيما يشاء

يطرح أدلر مفهوم الكفاح
من أجل التفوق والذخ
يقصد به أن تكون حركة
مستمرة للأمام وللأعلى
وتحقيق الذات وبلوغ
كمالها، وهو شكٌّ فطري
وتصدر عنه كل الدوافع
الأخرى بطرق مختلفة
تناسب كل شخص

يؤكد رانك أن
الاضطرابات النفسية
والعاطفية تعود جذورها
إلى تجربة ميلاد الإنسان
نفسه، وأن كل إنسان
يسعد شعورياً إلى
العودة إلى حالة النعيم
الأول التي تمتع بها حين
كان في رحم أمه

اعتقد يونج أن العقل الباطن
(اللاوعي) يحتوي على
دوافع شخصية وتجارب
لايعيها الشخص، إلا أنه اعتقد
أيضاً أن المنتسبين لكل جنس
يشتركون في مستوحٍ أعمق
من اللاوعي أُخلق عليه اسم
اللاوعي الجماعي

كان يونج يعتقد أن الدين
يؤدّي دوراً رئيسياً في
حياة الناس، من خلال
تمكينهم من التعبير عن حاجة
كامنة في اللاوعي لضرورة
التجربة الدينية

بدأ أدلر يخرج فكرة
الشعور بالنقص بالضعف
الجسدي الذي هو شعور
بالعجز ثم فيما بعد أضاف
الجانب الاجتماعي وأصبح
الشعور بالنقص ذو أبعاد
ثلاثة جسدي، ونفسي،
وإجتماعي

هرمون الكورتيسول،
والذي يفضي إلى نقص
بل ونضوب مادة
السيروتونين من المخ، مما
يؤدّي إلى مرض
الإكتئاب

يقدم ابن عطاء الله
نظريته عن أمراض الإنسان
النفسية أو كما سماها
"أمراض الغفله"، بشكل آخر
غير مسبوق في العلوم
النفسية قديمها وحديثها

أساس الصراع عند ابن عطاء
الله هو صراع الإرادات وهو
صراع معرفي " cognitive
الإنسان عن عمد (وعج) أو
عن جهل (لا وعج) إرادته
ويدبر هو شؤون حياته،
ولا يدرك أنه بذلك تقمص
شخصية الإله

عجّر رانك ما عُرّف باسم
«العلاج بالإرادة» والذي
ركز على أهمية الإبداع
سواء في العلاج أو في
التعامل مع الواقع. واعتبر
رانك أن العصاب تعبير عن
عمل فني فاشل، وأن التحليل
ميلاد ثان للمريض من خلال
إعادة تأكيد ذاته
والتعبير عنها

يفترض في النظرية المعرفية
أنهم الممكّن إحداث
تغييرات انفعالية وسلوكية
وجسمية من خلال إحداث
تغييرات في
أفكار و معتقدات المريض

الدراسات الحديثة أثبتت أن
الصراعات سواء كانت
داخلية لا شعورية أو خارجية
بيئية فهي تؤدّي في
النهاية إلى التوتر، والذي
بدوره يؤدّي إلى زيادة

يقدم ابن عطاء الله ثلاثة مراحل لإسقاط التدبير وهم أولاً: التحكمير وهو الرضا بحكم الله وتنفيذه في أوامره ونواهيه.

ثانياً: مرحلة عدم وجدان الحرج. ثالثاً: وجود التسليم المطلق وهو الذي يؤدي إلى أعلى درجات السلام النفسي.

الالتزام للإنسان بترك التدبير مع الله لأنه إذا كان يخلق ما يشاء فهو يدبر ما يشاء فمن لا خلق له لا تدبير له

أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تنعم بملذات المعاني كما تنعم النفوس بملذات الأخفمة وإنما ذاق غمهم الأيمان من رضي بالله ربا

الخطأ المعرفي عند ابن عطاء خطأ نتج عن تضخيم قدرات الذات إلى الحد الذي جعل الإنسان في مواجهة الله، أو تولد الإنسان ذمام ذاته وراح يدبر شؤونها

”بك“ جعل الإكتئاب يعود إلى سلبية رؤية الشخص عن نفسه والعالم والمستقبل، وهو على العكس تماماً من نظرية ابن عطاء الله، الذي أكد الإيجابية الزائدة عن النفس إلى حد التضخم الغير متناسب مع ضعف قدرات الإنسان

الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلوات الله عليه وسلم على نفسه قولاً وفعلًا وأخذًا وتركاً وحبا وبغضاً، ويشمل ذلك حكم التكليف وحكم التصريف والتسليم والانقياد واجب على كل مؤمن في كليهما

أن يعلم الفرد أن التدبير
منه لنفسه جهل بطبيعتها،
وأن المؤمن الصحيح النفس
علم أنه إذا ترك التدبير مع
الله كان له حسن التدبير
منه لقوله تعالى "وَمَنْ
يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
حَسْبُهُ يَا لَئِذَا بَلَغَ أُمَّهُ قَدْ
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا" الطلاق (3)

القدر لا يجري حسب
تقدير الشخص، بل أكثر ما
يكون ما لا يدبره وأقل ما
يكون ما يدبره الشخص.
وإذا كان التدبير من
الشخص والقدر يجري
عكس خلاف ذلك، فما
فائدة تدبير لا تنصره
الأقذار، ولذلك وجب
التدبير لمن بيده المقادير

لأنه لما رضي بالله ربا
استسلم له وانقاد لحكمه
خارجا عن تدييره واختياره
إلى حسن تدبير الله واختياره
فوجد لذة العيش وراحة
التفويض

لا يكون الرضا بالله إلا مع
الفهم ولا يكون الفهم إلا مع
النور. فلما تصل أنوار الله
ومدده يعافى القلب من
الأمراض والأسقام ويصبح
سليم الإدراك والذوق
فيدرك لذة الإيمان والتسليم
لله

على الإنسان أن يدرك أن الله
كان للإنسان قبل أن يكون
لنفسه، أجد أن الله تعالى
دبر للإنسان مذ كان عدما،
فإذا كان الأمر كذلك فله
أن يدبر له الأمر بعد الوجود

الله تعالٰى قيوم الدنيا
والآخرة. فقيوم الدنيا بالرزق
والعطاء والآخرة بالأجر
والجزاء. فإذا علم الإنسان
قيومية ربه وقيامه عليه
ألقى قيادة الأمر إليه،
وانطرح بالإستسلام بين
يديه

إذا توجهت همة الشخص
إلى رعاية واجب
العبودية لله شغله ذلك عن
التدبير لنفسه والإهتمام بها

ربما تأتي الفوائد من وجوه
الشدائد، والشدائد من
وجوه الفوائد، والأضرار من
وجوه المسار، والمسار من
وجوه الأضرار

أن الله تعالٰى هو المتولى
لتدبير مملكته، فنسبة وجود
الإنسان في هذه المملكة
لأشك مقارنة بالأرض
والسما، والغرش والكرسي.
فاهتمام الإنسان بأمر نفسه
وتدبيره لها هو جهل منه بالله

لو عرف الإنسان ربه لأستح
أن يدبر معه، فلا يدفع
الإنسان إلى التدبير إلا حبه
عن الله، لأن الموقنين يروا
أنفسهم مدبرين لا مدبرين

إن كانت نفسك لك فاصنع
بها ما شئت ولن تستطيع
ذلك أبدا، وإن كانت
لبارتها فسلمها له يصنع بها
ما شاء، ثم قال له الراحة فج
الإستسلام إلى الله وترك
التدبير معه وهو العبودية

إلح أرض القطيعة فيشقه
القلب ولكن لا تشقه
النفس لأن وقت القطيعة
يكون فيه ملائمات النفوس
من ملذ وذاتها وشهواتها
وانهماكها في غفلاتها

ربما كمنت المنن في المحن
والمحن في المنن. وربما إنتفع
الشخص على أيدي
أعدائه وأوذي على
أيدي أحبائه

أتسبدلون مرادكم
لأنفسكم بمراد الله لكم.
اهبطوا مصرا فإن ما أنتم
أشتهيتموه لا يليق أن يكون
إلا في الأمصار، أجد
اهبطوا عن سماء التفويض
وحسن الإختيار والتدبير إلح
أرض التدبير والاختيار
منكم لأنفسكم موصوفين
بالذلة والمسكنة
لاختياركم مع الله
وتدبيركم لأنفسكم مع
تدبير الله.

الإنسان لا يشهد حسن تدبير
الله إلا إذا إنكشفت له
العواقب. وقد سمع ابن
عطاء الله هؤلاء الناس بأهل
الفهم عن الله وهم الذين
شهدوا حسن تدبير الله قبل أن
تتكشف لهم العواقب

منهم من حسن ظنه بالله
فأستسلم له، ومنهم من حسن
ظنه بالله علما منه أن
التدبير والمنازعة لا تدفع
عنه ما قدر عليه ولا تجلب له
ما لم يقسم له

هكذا كان دأب بني
إسرائيل مع موسى عليه
السلام، كلما إختار لهم الله

أما الانسان العادي إذا
أكل من شجرة النهي أخرج
من جنة الموافقة وأنزل

رب العالمين ، والفكرة
فيما يؤدج إلك قمح
الهور المردي والشيطان
المغوي

تدبير الدنيا للدنيا: هو أن
يدبر في أسباب جمعها
افتحارا واستكثارا لها ،
وكما زيد فيها شيء
ازداد غفلة واغترارا ،
فأماراة ذلك أن تشغله عن
الموافقة وتؤديه إلك
المخالفة

تدبير الدنيا للأخرة : كمن
يدبر المتاجر ليأكل منها
حللا ، أو لينعم إلك
ذوئ الفاقة أفضالا ،
وليصون بها وجهه عن الناس
إجمالا ، فأماراة ذلك عدم
الإستكثار والإدخار ،
والإسغاف والإيتار

إختيارا، إختاروا هم لأنفسهم،
ولذلك قال لهم موسى عليه
السلام "إنكم قومٌ تجهلون"
الأعراف 138

يؤكد ابن عطاء الله إلك
أهمية إسقاط التدبير
والإختيار للوصول إلك حالة
السلام والسكينة النفسية
المرجوة

التدبير المذموم: هو كل
تدبير ينغطف إلك نفسك
بوجود حظها ليس لله فيه
شيء ، كالتدبير في
تحصيل معصية ، أو في حظ
بوجود عقل ، أو خاعة
بوجود رياء وسمعة

التدبير المحمود: هو ما كان
تديرا لها يقرب إلك الله
سبحانه وتعالى ، كالتدبير
في براعة الذمة من حقوق
المخلوقين، إما وفاء وإما
إستحلالا، وتصحيح التوبة إلك

يقسم الزهد إلى نوعين، زهد ظاهر جلي وزهد باطن خفي. أما الظاهر الجلي فهو الزهد في فضول الحلال من المأكولات والملبوسات وغير ذلك. والزهد الخفي هو الزهد في الرياسة وحب الظهور ومنه الزهد في التدبير مع الله

يقول ابن عطاء الله في حكمه "لزامه في الدنيا علامتان: علامة في فقدها "أحد أسباب الشهوات" وعلامة في وجودها، فالعلامة التي في وجودها الإنصراف عنها، والعلامة التي في فقدها وجود الراحة منها، فالإتار شكر لنعمة الوجدان، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان".

الصابر من صبر عما لا يحبه الله ومما لا يحبه الله التدبير معه. والصبر على أقسام،

يقول ابن عطاء أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه، كذا يجب عليه أن يتوب من التدبير مع ربه، لأن التدبير والإختيار من كباثر القلوب والأسرار

إن أردت التوبة فينبغي لك أن لا تخلو من التفكير خول عمرك، فتفكر فيما صنعت في نهارك، فإن وجدت خاعة فاشكر الله عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك، واستغفر الله وتب إليه

يقول ابن عطاء الله في حكمه "وب معصية أوردت ذلاً وإنكساراً، خير من خاعة أوردت عزا وإستكباراً" والمراد الذل والإنكسار لله عز وجل- الذي يورث صاحبه العزة والرفعة مع غيره

ربما منحك فأعطاك، وربما أعطاك فمنحك. وحينما تكشف لك الحكمة في المنح يصبح المنح عين العطاء، يهنيك ربما كانت المهانة من الخوف والفقير باعثاً إله خاعاة الله، إله الإقبال على الدين، إله الإقبال على العمل الصالح، فحينما يكشف الله الغطاء يذوب المؤمن الذي ابتلاه في الدنيا من شدة محبته لله على ما ساق له من شداك

أن الرضا هو سكون القلب
إله اختيار الله للعبد أنه
اختار له الأفضل فيرضك به

أما الراضي قد إكتفك
بسابق تدبير الله فيه،
فكيف يكون مدبراً معه
وهو قد رضي بتدبيره

صبر عن المحرمات وصبر عن
الواجبات وصبر عن التدبيرات
والإختيارات

الشكر على أن لاتعصي الله
بنعمة. ولولا نعمة العقل،
الذي ينظر إله
العواقب، والذي إكتمل به
الإنسان كان مثل الجمادات
والحيوانات، التي لاتدبر
لغياب العقل. فوجب على
الإنسان الا يستخدم نعمة العقل
في التدبير مع خالق العقل

يتوجه الخوف إله القلب،
يمنع العقل أن يفكر في
التدبير

بما أن مرض الغفلة قد يكون
من أخطر الأمراض التي تصيب
الإنسان، فلا بد من شيء
يوقظه، لابد من شيء يحمله
على الصوة، إنه الخوف
الذي يتولد عن شبح مصيبة،
حتى يستيقظ ويفيق الإنسان
من سكرة الهوك

مما يساعد على دفع
الشخص إلى أن يتخذ
العبادة بشكل جيد،
فيقوم بثورة على النفس
الأمارة بالسوء، ليرتقي بها
إلى المطمئنة

إن المتوكل على الله من
ألقى قيادته إليه واعتمد
فج كل أموره عليه. ومن
لوازم ذلك عدم التدبير
والإستسلام لجريان المقادير

من ذاق شيئاً من خالص
محبة الله، ألهم ذلك عما
سواه (التتوير في إسقاط
التدبير)

الحب لله هو أن تؤثره ولا
تؤثر عليه سواء، والحب فك
الله أن تحب فيه من والاه،
والحب بالله أن يحب العبد
من أحبه وما أحبه منقطعا
عن نفسه وهواه، والحب من
الله هو أن يأخذك من كل
شك، فلا تحب إلا إياه

ألم تعلم أن نور الرضا يغسل
من القلوب غثاء التدبير،
فالراضي عن الله بسطه نور
الرضا لأحكامه فليس له
تدبير مع الله ويكفيه حسن
اختيار ربه له

إذا إمتلأ قلب الراجي فرحا
بالله، يصبح وقته مشغول
بمعاملة الله تعالاه، ولا وقت
للتدبير مع الله

إذا أردت أن يفتح لك
باب الرجاء فاشهد ما منه
إليك، أجد انظر إلى ما
يعطيك أيام ربك وكيف
يعاملك الله، وإذا أردت أن
يفتح لك باب الخوف
فاشهد ما منك إليه

يصف ابن عطاء الله الطريق
إلى الله، بأن يتفكر الإنسان
فج حالتها لروحية،

جعل ابن عطاء الله الشهوات
مصورة ومنطبعة في القلب
فصارت مكوناً أساسياً منع
القلب من الاتجاه إلى الله عز
وجل. وأصابته صاحبها
بالغفلة فانشغل بـ
الأكوان عن كون الأكوان

قد تكلم عن أمراض ستة:
أولا خوف الفقر، ثانياً خوف
الخلق، ثالثاً شوه النفس والنهم،
رابعاً هم الرزق، خامساً الشح
والبخل، وأخيراً الفتنة

جعل ابن عطاء الله خوف
الفقر أشد أمراض الغفلة
خطراً واستشهد بالقول "من
سكن خوف الفقر قلبه قل
ما يرفع له عمل

جعل ابن عطاء الله من
أعراض خوف الفقر الإدخار
hoarding. وقسمه إلى
ثلاثة أقسام: إدخار الطالمين-
وإدخار المقتصدين- وإدخار
السابقين

هنا مراتب أربع: الحب لله ،
والحب في الله ، والحب بالله ،
والحب من الله ، فالحب لله
ابتداءً ، والحب من الله
انتهاءً ، والحب في الله وبالله
وأسطة بينهما. والحب لله أن
تؤثره ولا تؤثر عليه سواء ،
والحب في الله أن تحب فيه
من ولاء

“كيف يشرق قلب صور
الأكوان منطبعة في مرآته،
أم كيف يرحل إلى الله وهو
مكبل بشهواته، أم كيف
يطمع أن يدخل حضرة الله،
وهو لم يتطهر من جنابة
غفلاته، أم كيف يرجو أن
يفهم دقائق الأسرار وهو لم
يتب من هفواته

جعل ابن عطاء الله ما يصيب
الإنسان من الهم والكدر
وعدم إشراق القلب بأنه ناتج
من أمراض الغفلة والهوى.

إدخار السابقين: وهم الذين سبقوا إلك الله لتتخلص قلوبهم مما سواه فلم تعقهم الخوائق ولم تشغلهم عن الله الخلائق، فسبقوا إلك الله لتتخلص قلوبهم مما سواه

ما حجب الخلق عن الله تعال ك شيآن همُّ الرزق وخوف الخلق. فكلما عظمت هيبة الله عز وجل في صدور الأولياء، لم يهابوا معه غيره؛ حياء منه عز وجل أن يخافوا معه سواه

علامة خوف الإنسان من الله أن يؤمنه خوفه من كل خوف غير خوف ربه تبارك وتعالى

الذي يخاف الله يتحرر قلبه من الخوف من كل ما سواه. الله. ولن يخاف الإنسان غير الله إلا لمرض في قلبه

إدخار الظالمين: هم المدخرون بخلا واستكثارا، الممسكون مباحاة وإفتخارا، فهؤلاء استحكمت الخفة على قلوبهم واستولد الشره على نفوسهم، فهم لا تفرغ من الدنيا نهمتهم ولا تتوجه إلك غيرها همتهم. الثابت فقرهم وإن كانوا أغنياء، الظاهر ذلهم وإن كانوا أعزاء

أولئك هم الغافلون الذين لم يبق في قلوبهم متسع لوعيد الحكمة واستماع الموعدة، فقل أن ترفع أعمالهم أو تزكك أحوالهم لأن خوف الفقر قد سكن قلوبهم

إدخار المقتصدين: وهم الذين لم يدخروا استكثارا ولا مباحاة ولا افتخارا، إنما علموا من نفوسهم الإضطراب عند الفقر، فعلموا أنهم إن لم يدخروا تشوش عليهم إيمانهم وتزلزل إيقانهم فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين وعلمًا منهم بعجزهم عن مقام اليقين

أخرج الطمع من قلبك
واقطع يأسك من ريك أن
يعطيك غير ما قسم لك،
وليس يدل على شعار
العبد كثرة عمله ولا
مداومته على ورده وإنما
يدل على نوره غناه بربه
وانحباسه إليه بقلبه وتحوزه
من رق الطمع وتحليه بطية
الورع وبذلك تحسن الأعمال
وتزكو الأحوال

أن أكثر ما حجب الخلق عن
الله شيآن: هم الرزق وخوف
الخلق، وهم الرزق أشد
الحجابين

ثم يوصي بالخروج من مأزق
هم الرزق باليقين بالله
والعلم أن الله قد تولد
تدبيره من قبل أن يكون

من حرره الله من رق الطمع
وأعزه بوجود الورع فقد أجزل
عليه منته وكمل عليه نعمته

أيست من نفع نفسي لنفسي
فكيف لا أياس من نفع
غيري لنفسي، ورجوت الله
لغيري فكيف لا أرجوه
لنفسي وهذا هو الكيمياء
والأكسير الذي من حصل له
حصل له غنا لا فاقه فيه
وعز لا ذل معه وانفاق لا
نفاق له وهو كيمياء أهل
الفهم عن الله تعال

نظرت إلى الخلق فوجدتهم
على قسمين: أعداء وأحباء،
فنظرت إلى الأعداء
فعلمت أنهم لا يستطيعون أن
يشوكوني بشوكة لم
يردني الله بها، فقطعت
نظري عنهم، ثم تعالقت
بالأحباء فرأيتهم لا
يستطيعون أن ينفخوني
بشئ لم يرديني الله به،
فقطعت أياسي منهم
وتعالقت بالله تعال

والمنتهد عما نهى الله
عنه ذكر. والذكر قد
يكون باللسان، وقد يكون
بالجنان، وقد يكون
بأعضاء الإنسان، وقد
يكون بإعلان الجهاد،
والجامع لذلك كله ذكر
كامل

الذكر ما هو مطلق، وما
هو مقيد بزمان
ومكان. فالمقيد كالذكر
فك الصلاة وعقبها والحج
وقبل النوم وبعد اليقظة
وقبل الأكل وعند ركوب
الدابة، وغرفك النهار
والليل وغير ذلك. والمطلق ما
لا يتقيد بزمان ولا مكان
ولا وقت ولا حال

تذكرة العلاج الأول
بالتوبة عن الذنوب لأن
الذنب إذا وقع وقع معه
ظلمة، فمثال المعصية
كالنار والظلمة خانها،
فالقلب يسود بالمعصية فلا

أن صاحب الشح لا فلاح له
أجد لا نور له، والفلاح هو
النور

لو عرف الله تعالى أغناه
وجوده عن كل موجود
واستغنى به عن كل مفقود
ومن فقد الله لم يجد شيئاً
ومن وجدته لم يفقد شيئاً

عبد الحال بالحال وهو من
يفرح بالحال إذا وجدها
ويحزن عليها إذا فقدها.
والثاني: عبد الحال بالمحول
فذلك عبد الله لا عبد الحال،
وهو الذي لا يأسدها عليها
إذا فقدها ولا يفرح إذا
وجدها

المتكلم ذاكر، والمتفكر
فك عظمة الله وجلال جبروته
وأياته فك أرضه وسماواته
ذاكر، والمتمثل ما أمر الله

المتابعة له عليه الصلاة
والسلام عليك قسامين : جليلة ،
وخفية فالجليلة : كالصلاة
والصيام والزكاة والحج
والجهاد وغير ذلك . والخفية :
أن تعتقد الجمع في صلاتك
والتدبير في قراءتك

إذا فعلت الطاعة
كالصلاة والقراءة ولم تجد
فيها جمعا ولا تدبرا فاعلم
أن بك مرضا بأخنا من
كبر أو عجب أو غير ذلك

التوبة هي التي تغسل
سواد القلب لتظهر الأعمال
وعليها راحة القبول ،
فأخلب من الله تعالي
التوبة دائما فإن ظفرت
بها فقد غاب وقتك

إن تبت فأنت من المحبوبين
، وإن لم تتب فأنت من
الظالمين ، قال تعالي :
وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ
الظَالِمُونَ

يطهر إلا بالتوبة إلى الله ،
فصار الذل والظلمة والحجاب
مقارنا للمعصية ، فإذا تاب
المدنّب إلى الله زالت آثار
الذنوب

التوبة المبكرة هي التي
تفيد في غسل سواد القلوب

أربعة تُعينك على جلاء
قلبك : كثرة الذكر ولزوم
الصمت والخلوة وقلة المطعم
والمشرب

أن القلوب الميتة بالغفلة،
يحييها الله بالتيقظ والإعتبار
والموعظة، فيخرج منها الحب
الصافي الذي تضيء أنواره
على الظاهر والباطن

لا يدخل عليك الإهمال إلا
بإهمالك عن متابعة النبي
صلّى الله عليه وسلم ولا
تُحصل لك الرفعة عند الله
تعالي إلا بمتابعة النبي
صلّى الله عليه وسلم

العمر القصير خويلا كقوله
: سبحان الله العظيم
وبحمده عدد خلقه ورضا
نفسه ومداد كلماته

من فاته الصيام والقيام ، أن
يشغل نفسه بالصلاة على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فما أحسن العيش إذا
أخعت الله فيه بذكر الله
تعالى أو الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم

إذا رأيت فيك الإعراض
والشهوة والغفلة فهذا
وصفك، وإذا رأيت فيك
الإنابة والخشية والزهد
فهذا من صنع الله

إن كان عمرك قليلا فيصير
كثيرا بحصول الإيمان
والخشوع والخضوع، والخشية
والتدبر والتذكر ونحوها.

عندما تصيبك نكبة عدم
قيام الليل وعدم صيام النهار
ولا تتألم!! وذلك لأن الغفلة قد
أمانت قلبك ، لأن الحجّ يؤلمه
نقرُ الإبرة ، ولو قطع الميتُ
بالسيوف لم يتألم، فأنت حينئذ
ميتُ القلب

كفك بك جهلا أن تحسد
أهل الدنيا على ما أعطوا ،
وتشغل قلبك بما عندهم ،
فتكون أجهل منهم ، لأنهم
اشتغلوا بما أعطوا واشتغلت
أنت بما لم تُعط

أهل السعادة إذا رأوا إنسانا
على معصية الله أنكروا
عليه الظاهر ، ودعوا له فج
الباخن. وأهل الشقاوة يُنكرون
عليه تشفيا فيه

من قارب فرائع عمرة ويريد
أن يستدرك ما فاته ،
فليذكر بالأذكار الجامعة ،
فإنه إذا فعل ذلك صار

ما أكثر توددك للخلق، وما
أقل توددك للخلق! فتج
لك باب التودد مع الله
لرأيت العجائب: ركعتان
في جوف الليل: تودد.
الصدقة على المساكين:
تودد. عيادتك للمرضى:
تودد. صلاتك على
الجنائز تودد، إيمانك لأخيك
المسلم: تودد

فقيل : ليس الرجل
من يُرزق على أيدي
الأحباء ، إنما الرجل من يُرزق
من أيدي الأعداء. فإذا
رأيت من يصبح مهموما
لأجل الرزق فاعلم أنه بعيد
من الله، فإن أحب ما يُطاع
الله به: الثقة به

قدر لك الصحة والمرض
والغنك والفقر، والفرح
والحزن، حتى تعرفه
بأوصافه

فلو عرفت الإيمان ما قاربت
الخصيان، فلا غريم أمطل من
النفس ولا عدو أعظم من
الشیطان ولا معارض أقوح
من الهوى

إن كنت عاقلا فابك على
نفسك قبل أن يُبك عليك،
فإن الولد والزوجة والخادم
والصديق لا يكون عليك إذا
مُت، بل يكون على ما
فاتهم منك، فسابقهم أنت
بالبكاء وقل: يحق لي أن
أبكي على فوات حظي
من ربي قبل أن تبكوا علي

لأن حضرة الله تعالى لا
يدخلها المتلطفون بنجاسة
المعصية . فطهر قلبك من
الغيب يفتح لك باب الغيب
، وثب إلى الله وأرجع إليه
بالإنابة والذكر ومن أدام
قرع الباب يُفتح له

إذا أعطيت نفسك كل ما
تشتهى وتطلب من
الشهوات كنت كمن في
بيته حية يُسمنها كل يوم
حتك تقتله

لو جعل الله فيك الروح من
غير نفس لأخعت وما
عصيت، ولو جعل فيك
النفس من غير رُوح لعصيت
وما أخعت - فذلك تتلون
- ولكن جعل فيك القلب
والروح والنفس والهوى
كالنحلة جعل فيها اللسع
والعسل: فالعسل بيرة،
واللسع بقرهم، فأراد الله أن
يكسر دعوى النفس
بوجود القلب ودعوى
القلب بوجود النفس

همة الزاهدين في كثرة
الأعمال، وهمة العارفين في
تصحيح الأحوال. فإذا أتقل
عليك أمران فانظر أيهما أتقل
على النفس، فإنه لا يتقل
عليها إلا ما كان حقا

أرجعني يا نفس إله رضا
ربك ! خالما وافقتك في
شهواتك ، فتبدلي بعد
البطالة بالإشغال بالله، ويعد
الكلام بالصمت، ويعد
الوقوف بالأبواب: الجلوس
بالخوّة، ويعد الأتس
بالمخلوقين: الأتس بالخالق
ويعد قرناء السوء: مُعاشرة
أهل الخير والصلاح

اجعل بدل السهر في
معصية الله، السهر في خاعة
الله، وبعد الإقبال على أهل
الدنيا: الإعراض عنهم
والإقبال على الله، وبعد
الإصغاء لكلامهم: الإصغاء
والإستماع لكلام الله عز وجل
وذكره، وبعد الأكل بالشره
والشهوة: الأكل القليل الذج
يُعينك على الطاعة

إنما عصي الله من لم يعرف
ثوابه. فلو أخلجوا على
عذاب الله لما غفلوا، ولو
أخلجوا على ما أعد الله لأهل
الجنة لما تركوها خوفا عين

لو انقطعت عن الخلق فتح
الله لك باب الأنس به
تعالذ، لأن أولياء الله قهروا
أنفسهم بالخلوّة والعزلة،
فسمعوا من الله وأنسوا به

لا تفعد على أبواب
الحارات فمن استعد استمد،
فإذا هياً لك الاستعداد
فتح لك باب الاستعداد،
ومن أحسن قرع الباب فتح
له، فرب خالب أساء قرع
الباب فرُد لسوء أدبه ولم
يُفتح له

لو تقربت إلى الله لسمعت
مخايبته على الدوام، فيد
سوقك وفي بيتك، ولكن
من استيقظ شهد، ومن نام
لم تسمع أدنا قلبه، ولم
تشهد بصيرته، ولكن
الحجاب مُرخد، ولو أن
العباد فطنوا لم يقبلوا إلا
على الله، ولم يجلسوا إلا بين
يديه، ولم يستفتوا غيره

إن من الله عليك بثلاث فقد
من عليك بالنعمة الكبرى:
الأولك الوقوف على
حدوده، والثانية الوفاء
بعهوده، والثالثة الغرق في
شهوده

جامعُ أعرابيّانِ إلى رسولِ الله
صلّى اللهُ عليه وسلّمٍ فقالَ
أحدُهُما يا رسولَ اللهِ أُجِدُّ
النَّاسَ خيراً قالَ من خالَ عمرهُ
وحسنَ عملهُ وقالَ الآخرُ يا
رسولَ اللهِ إنّ شرائعَ الإسلامِ
قد كثرت علينا فمِنْ نِدْ
بأمرٍ أتشبهُ به فقالَ لا يزالُ
لسانك رجباً بذكرِ اللهِ عزَّ
وجلَّ

إن غلبت أن تعصيه فاخلب
مكانا لا يراك أحد، واخلب
قوة من غير أن تعصيه بها،
ولن تستطيع شيئاً من ذلك
لأن الكل من نعمه، أتأخذ
نعمه وتعصيه بها

إن فعلت ذنباً وأعقبته
بالتوبة والندم والإنكسار
والإنابة كان ذلك سبب
وصلتك به ، وإن فعلت
خاعة وأعقبته بالعجب
والكبر كان ذلك سبب
القطيعة عنه

من أشغل قلبه بالله، وعالجه
مما يطرأ عليه من الهوى
كان أفضل ممن يُكثر من
الصلاة والصيام

قد جعل ابن عطاء الله
الفرد هو مرآة نفسه
وخبيبه الخاص، الذي لأبد
له أن يتسم بالصدق والأمانة
مع ذاته حتى يصارحها
بدينامياته، والتي قد
تكون مؤلمة أحياناً، ثم يقوم
بترتيب تلك الديناميات بما
يسمح له بمعاودة تركيبها
على النحو الصحيح
وبالتالي العلاج الشافي

ربما قضى عليك بالذنب
ليُخرج منك الكبر والعُجب
فقد رُوي: رُب ذنب
أدخل صاحبه الجنة

تصدق كل يوم ولو بربع
درهم أو بلقمة، حتى
يكتبك الله في ديوان
المتصدقين، واتل من القرآن
كل يوم ولو آية، حتى
يكتبك الله في ديوان
التالين، وصل في الليل ولو
ركعتين، حتى يكتبك الله
مع القائميين

إن أردت أن تعرف كيف
تمر على الصراط فأنظر
حالك في الإسراع إلى
المسجد

التقوى هي ترك معصية
الله حيث لا يراك أحد

من مرض قلبه مُنع أن يلبس
التقوى، فلو صح قلبك من
مرض الهوى والشهوة تحملت
أنقال التقوى، فمن لم يجد
حلاوة الطاعة دُل على مرض
قلبه من الشهوة

تحقق بأوصافك يمدك
بأوصافه، تحقق بذلك يمدك
بعجزه، تحقق بعجزك يمدك
بقدرته، تحقق بضعفك
يمدك بحوله وقوته

أجهل الناس من ترك يقين ما
عنده لظن ما عند الناس» (192). فإن
الإنسان على يقين بتقصير
نفسه وعجزها، فإن أدرك
غير ذلك فما زال به مرض

إذا ثقلت عليك الطاعة
والعبادة ، ولم تجد لها
حلاوة في قلبك ، وتخف
عليك المعصية ، وتجد لها
حلاوة ، فاعلم أنك لم
تصدق في توبتك ، فإنه
لو صح الأصل لصح الفرع

مثال الإيمان في القلب
كالشجرة الخضراء ، فإذا
كثرت عليها المعاصي
يبست وفرغ إمدادها

أصل كل معصية وغفلة
وشهوة، الرضا عن النفس،
وأصل كل خاعة ويقظة
وعفة عدم الرضا منك عنها،
ولأن تصعب جاهلا لا يرضك
عن نفسه خير لك من أن
تصعب عالما يرضك عن
نفسه ؟

إذا فعل الشخص الطاعة مثل
الصلاة بلا تدبير فعليه أن
يعلم أن به مرضا باخنا مثل
الكبر أو العجب

فرب صلاة لا تصلح للقبول
فإن استغفرت الله بعدها
قبلت. فقد كان النبي
عليه الصلاة والسلام إذا
صلى استغفر الله ثلاث مرات

ليس المتواضع الذك إذا
تواضع رأك أنه فوق ما
صنع، ولكن المتواضع الذك
إذا تواضع رأك أنه دون ما
صنع

إلهي أنا الفقير في غناي
فكيف لا أكون فقيراً في
فقرتي.

إلهي أنا الجاهل في علمي
فكيف لا أكون جهولاً
في جهلي.

إلهي وصفت نفسك
باللطف والرفقة بي قبل
وجود ضعفي أفتمنعني
منهما بعد وجود ضعفي.

إلهي إن ظهرت المحاسن
مني فبفضلك ولك المنة
علي وإن ظهرت المساوي
مني فبعذلك ولك الحجة
علي.

إلهي أنت تعلم أنه إن لم
تدم الطاعة مني فعلا
جزماً فقد دامت محبة
وعزماً

أعلم أن كل صلاة لا تنهد
صاحبها عن الفحشاء والمنكر
لا تُسجد صلاة

كف بك جهلاً نظرك إلك
إساعة صغيرة من غيرك ،
وتعاميك عن كبير إساعتك

ركعتان بالليل خير من ألف
بالنهار ، وأنت لا تصلي فيه
ركعتين إلا لتجد ذلك في
ميزانك ، وهل يُشترَك العبد
إلا للخدمة؟ هل رأيت عبداً
يُشترَك لياًكل وينام ؟ وما
أنت إلا عبد أُشتريت

علمٌ فيه غفلة عن الله: الجهل
خير منه فمن أثمرت جوارحه
فقد أمطر قلبه ولسانه
بالذكر ، وعينه بالغمض ،
وأذنيه بالاستماع إلك العلم ،
ويديه ورجليه بالسعي إلك
الخيرات

إلهي اغلبني برحمتك
حتك أصل إليك واجذبني
بممنك حتك أقبل عليك

إلهي كيف أعزم وأنت
القاهر وكيف لا أعزم وأنت
الأمر

إلهي كيف أخيب وأنت
أملج، أم كيف أمان
وعليك متكلي

إلهي كيف يستدل عليك
بما هو في وجوده مفتقر
إليك، أيكون لغيرك من
الظهور ما ليس بك حتك
يكون هو المظهر لك. متك
غبت حتك تحتاج إلك دليل
يدل عليك ومتك بعدت
حتك تكون الأثار هي التجدي
توصل إليك

يا من احتجب في
سراذقات عزمه عن أن
تدركه الأبصار، يا من
تجلد بكمال بهائه
فتحققت عظمته الأسرار،
كيف تخف وأنت
الظاهر، أم كيف تغيب
وأنت الرقيب الحاضر

لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي: العدد 6



إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2014

أ.د. حمدي فؤاد المصباحي

▪ تاريخ الميلاد: 01.03.1958

▪ الاختصاص: الطب النفسي العام

وطب الادمان



▪ الاهتمامات العلمية:

ممارسة وتدريس الطب النفسي، كتابة الاوراق العلمية، الاشراف على رسائل الدكتوراة، قراءة وكتابة القصة والرواية العربية، القراءة في التراث العربي الاسلامي.

▪ الممارسات المهنية:

نائب للطب النفسي في مستشفيات كلية الطب جامعة بنها، ثم مستشفى بهمان بالقاهرة، ثم تدرج في العمل في ابنترا منذ عام 1992 في وظائف مختلفة حتى وظيفة استشاري للطب النفسي ومدير اكلينيكي لمستشفى سانديول للطب النفسي، برمنجهام، إنجلترا، حتى عام 2006، انتقل للعمل في الإمارات العربية المتحدة، حالياً أستاذ ورئيس قسم الطب النفسي بكلية الطب جامعة الإمارات العربية المتحدة.

▪ المؤلفات:

1. شخطة على بردية الخروج: مجموعة قصصية، وزارة الثقافة المصرية، 2002
2. حقوق المريض النفسي، دار الأمل، القاهرة، 2005
3. أسوار التكية، رواية، دار ليلك للنشر، القاهرة، 2012
4. البحث عن بخت، مجلة الشاهد، قبرص، 1991
5. إعادة الولادة، عوامل الابداع في قصة مصرية، مجلة الثقافة الجديدة، أغسطس، 1992
6. الاحساس بالمكان، دراسة نقدية لأعمال الاديب فؤاد مرسى، مجلة القصة، القاهرة، يوليو 2002.
7. إجهاض، قصة قصيرة، مجلة الكورمة، القاهرة، أبريل 2002
8. الادمان في المجتمع المسلم في ابنترا، مجلة الحوار، برمنجهام، 2003
9. العوامل النفسية في اختيار الزواج، مجلة الحوار، برمنجهام، 2003

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2014

إصدارات لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العربي الاسلامي

